ملخص البحث...

سراج الدين عمر البُلقيني، مجدد المائة الثامنة وعالمها، وأحد أئمة المذهب الشافعي البارزين، عاصر مرحلة انتقالية مهمة في تاريخ مصر، متمثلة في ضعف سلاطين دولة المماليك البحرية في السنوات الأخيرة من حكمهم، وقيام دولة المماليك البرجية، وما صاحب ذلك من فترات اضطرابات وثورات، وأخطار خارجية متمثلة في خطر المغول.

تسلط هذه الدراسة الضوء على شيخ الإسلام البلقيني، وحياته العلمية ودوره السياسي والاجتماعي في مصر تلك الفترة.

الكلمات المفتاحية:

السراج البلقيني – الظاهر برقوق – مدرسة البلقيني – تيمورلنك – الزندقة – البرطلة

Summary

Siraj al-Din Omar al-Bulqini, the revivalist and scholar of the eighth century, and one of the prominent imams of the Shafi'i school, experienced an important transitional period in the history of Egypt, represented by the weakness of the sultans of the Bahri Mamluk state in the last years of their rule The rise of the towering Mamluk state, and the accompanying periods of unrest and revolutions, and external dangers represented by the danger of the Mongols.

This study sheds light on Sheikh Al-Islam Al-Bulqini, his scientific life and his political and social role in Egypt at that period

key words:

Al-Siraj Al-Bulqini - Al-Zaher Barquq - Al-Bulkini School- Tamerlane - Al-Zandaqah - Al-Bartalla.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة...

الحمد لله على إحسانه، وله الشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيما لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وتمسك بشريعته إلى يوم الدين. أما بعد...

سراج الدين عمر البُلقيني، أحد أئمة المذهب الشافعي البارزين، عاصر مرحلة انتقالية مهمة في تاريخ مصر على الصعيدين الداخلي والخارجي، متمثلة في ضعف سلاطين دولة المماليك البحرية في السنوات الأخيرة من حكمهم، وقيام دولة المماليك البرجية، وما صاحب ذلك من فترات اضطرابات وثورات، وأخطار خارجية متمثلة في خطر المغول.

وهذه الدراسة هي محاولة لتسليط الضوء على ذلك، واستعراض الدور السياسي والاجتماعي للبُلقيني في مصر تلك الفترة، وهو ما دفعني للكتابة في هذا الموضوع.

وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، وتناولت في المقدمة الدافع إلى الكتابة في هذا الموضوع، ثم عرضت لخطة الدراسة. أما التمهيد فقد تناولت فيه العصر الذي عاش فيه البُلقيني، والأوضاع السياسية في مصر تلك الفترة بوجه عام. وجاء المبحث الأول بعنوان: السراج البُلقيني والمكانة العلمية، تناولت فيه مسيرته العلمية، وشيوخه، ووظائفه، وتلاميذه، ومؤلفاته، ومدرسته، ثم وفاته. والمبحث الثاني وعنوانه: الدور السياسي للبُلقيني، وتناولت فيه علاقة البُلقيني بالسلاطين والأمراء، وموقفه من ثورات الأمراء، ومشاركته في مراسم تولى الخلفاء والسلاطين، وتولية الظاهر برقوق، ثم تولية ابنه فرج، كما تناولت وساطة البلقيني في الصلح بين الأطراف المتنازعة من الأمراء، ومكانته وقربه من الظاهر برقوق، ومشاركته في حضور المناسبات الدينية والاحتفالات، كما تحدثت عن دعوة البلقيني عامة المصريين للجهاد ضد المغول.

وأخيراً المبحث الثالث وجاء بعنوان: الدور الاجتماعي للبُلقيني، وتحدثت فيه عن مواجهته لعدد من الأمراض الاجتماعية مثل الزندقة، والبرطلة، وأعمال البغاء، وتبرج المرأة، كما تناولت جهوده في إبطال بعض المكوس والضرائب، ومواجهة غلاء الأسعار، وانتشار وباء الطاعون. ودوره في الحفاظ على أموال الأوقاف من استبداد سلاطين المماليك.

التمهيد

شكلت دولة المماليك القوة الأبرز في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، التي حكمت مصر وبلاد الشام والحجاز أكثر من قرنين، وانقسمت الدولة المملوكيَّة إلى دولتين، هُما دولة المماليك البحريَّة (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠- ١٣٨٢م)، ودولة المماليك البُرجيَّة أو الجراكسة (٧٨٤هـ - ٩٢٠/ ١٣٨٢- ١٥١٧م).

وقد اتسمت الفترة الأخيرة من حكم دولة المماليك البحرية بعدم الاستقرار والاضطرابات، وذلك بسبب صغر سن السلاطين الأواخر من أولاد وأحفاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩-٧٤١هـ/ ١٣١٠- ١٣٤٠م)[١]، فكان يتولى الحكم أولاد السلاطين إلى أن تهدأ الأمور، وبعد ذلك يُخلعون ويتولى بدلاً منهم أمير قوي، ويكون نائبًا للسلطان والحاكم الحقيقي. واستمر ذلك الوضع حتى أعلن برقوق (٧٨٤ – ٨٠١هـ / ١٣٨٢- ١٣٩٨م)[٢] قيام دولة المماليك البرجية "الجراكسة".

---

[١] تاسع سلاطين الدولة المملوكية البحرية، ولد بمصر ٦٨٤هـ، تولى الحكم ثلاث مرات، كانت المرة الأخيرة هي الأطول حيث امتدت حولي أربعين عاماً، خاض حروباً ضد الصليبيين والمغول، تمكن من إحكام سيطرته على الأمور في مصر والتخلص من معارضيه، وتفرد بأمور الحكم، كما شهدت مصر في فترة حكمه نهضة حضارية وعمرانية لم تشهدها في عهد أي سلطانٍ آخر من سلاطين المماليك. الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج ٤، ص ٢٥١. المقريزي (تقى الدين أحمد بن على المقريزي ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ج٣، ص٣٠١- ٣٢١. ابن تغري بردي(جمال الدين أبى المحاسن بن تغري بردي الأتابكي ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ج ١٠، ص ٢٥٤

[٢] الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين برقوق بن آنص العثماني اليلبغاوي الجركسي، تولى السلطنة مرتين (٧٨٤ – ٧٩١)ثم (٧٩٢ – ٨٠١هـ)، سمى برقوق لجحوظ في عَيْنَيْه، وبيع في شبه جزيرة القرم وجلبه إلى مصر تاجر رقيق معروف يدعى الخواجة فخر الدين عثمان بن مسافر فعرف به (العثماني)، واشتراه بمصر الأمير يلبغا العمري الخاصكي، من مماليك السلطان الأشرف شعبان فأعتقه وجعله من جملة مماليكه، وصار بخدمة أولاد الملك الأشرف جنديّا، ولم يزل على ذلك حتى ثار مع مماليك يلبغا على الملك الأشرف شعبان ، فلما اغتيل الملك الأشرف شعبان سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٧م، نصب ابنه الملك المنصورعلي سلطانًا (٧٧٨ – ٧٨٣هـ) وكان عمره نحو سبع سنوات،ثم ترقى برقوق في الجندية إلى رتبة أمير طبلخاناه، ثم أمير آخور كبيرًا أي مسؤولًا عن الإسطبل السلطاني، ثم أتابكًا للعسكر "قائدًا للجيش" ، وصار إليه الحل والعقد مفوضًا من السلطان. توفي الملك المنصور علي بالطاعون سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م، ونُصِّب أخوه صلاح الدين أمير حاج سلطانًا، وعمره لا يتجاوز أحد عشر عامًا، فكان آخر سلاطين دولة المماليك البحرية بمصر والشام، وانفرد الأتابك برقوق بتصريف الأمور، ثم قام بخلع السلطان، وقلد الخليفة المتوكل على الله برقوق السلطنة سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م. ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):إنباء الغمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ، ج٢، ص٦٦، ٦٨. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٨١. ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج ١، قسم ٢ص ٣٢٩، ٣٣٠، ٥٣٠- ٥٣٤.

عاش الإمام البلقيني تلك الفترة المضطربة من تاريخ مصر في عصر دولة المماليك، في سلطنة أبناء واحفاد قلاوون، التي ابتدأت بتولية أبناء السلطان محمد بن المنصور قلاوون (٧٠٩هـ – ٧٤١هـ/ ١٣١٠– ١٣٤٠م)، وانتهت بعزل السلطان الصغير المنصور حاجي بن
الأشرف شعبان (٧٩٠ – ٧٩٢هـ /١٣٨٨– ١٣٩٠م)[٣]، وتولية الظاهر برقوق الحكم، كما صاحب تلك الفترة ظهور خطر المغول من جديد بقيادة تيمورلنك (٧٧٢– ٨٠٨هـ/ ١٣٧٠– ١٤٠٥م)[٤]، الذي اجتاحت قواته بلاد الشام والعراق، واقترب خطره من مصر.

---

[٣] تولى صلاح الدين أمير حاج سلطانًا، بعد وفاة أخيه المنصور على، وعمره لا يتجاوز أحد عشر عامًا، فكان آخر سلاطين المماليك البحرية بمصر والشام من أبناء قلاوون، وانفرد الأتابك برقوق بتصريف الأمور، وخُلِعَ الملك الصالح من السلطنة، فكانت مُدَّة سلطنته سنة واحدة وسبعة أشهر، ثم أعيد للسلطنة ولُقب بالمنصوربعد ثورة يلبغا الناصري ومنطاش على الظاهر برقوق، ثم خلع ٧٩١هـ وتولى الظاهر برقوق وانتهت دولة المماليك البحرية. المقريزي: السلوك، ج٥، ص١٤٠. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٦٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص٢٨٧. ابن شاهين الملطى (عبد الباسط بن خليل بن شاهين ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م): نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق محمد جلال الدين علي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١١١– ١١٢

[٤] تيمورلنك: مؤسس الإمبراطورية التيمورية في أفغانستان وإيران وآسيا الوسطى، أظهر نفسه بصورة المستعيد للحقوق الجنكيزية، وبرر حملاته بأنها إعادة فرض سيطرة المغول المشروعة على الأراضي التي استولى عليها المغتصبون–على حد قوله–. ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص٧٥٧. محمد كرد علي: خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ / ١٩٨٣، ج٢، ١٥٥، ١٥٦

المبحث الأول: السراج البُلقيني والمكانة العلمية

شيخ الإسلام [٥]السراج البُلقيني [٦] مجدد المائة الثامنة وعالمها[٧]، أعجوبة الزمان [٨]، وإليه انتهت رئاسة العلم في أقطار الأرض [٩]، شهد له بذلك أقرانه وتلاميذه، وكان المشار إليه بين العلماء الذين اكتظ مجلسه بالكبار منهم، واستبد بزعامة الشافعية، وتزاحم عليه طلبة العلم، وطارت فتاواه في الآفاق، مع ما كان عليه من الجلالة والمهابة والحشمة الوافرة والكلمة النافذة في مجلس السلطان، قائماً في الحق، ناظراً للسنة، قامعاً لأهل البدعة[١٠].

هو الإمام العلامة شيخ الإسلام الحافظ الفقيه سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن محمد بن مسافر الكناني الشافعي[١١]، ولد في بُلقين[١٢]، ليلة الجمعة ثاني عشر شعبان سنة ٧٢٤ هـ/ ١٣٢٣م [١٣]، ويقال إنّ أول من سكن بُلقين من أجداد الشيخ سراج الدين عمر، هو صالح بن شهاب. [١٤]

---

[٥] وهو من الألقاب التي تلقب بها كبار الفقهاء في الدولة، وقد مارس من حمل لقب شيخ الإسلام نفوذاً كبيراً في الدولة المملوكية. حسن الباشا: الفنون الإسلامية، الدار الفنية للنشر، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج٢، ص٣٦٦.

[٦] بضم الباء وسكون اللام وفتح القاف وسكون الياء، نسبة إلى بُلقين قرية، في ريف الدلتا المصري بالغربية. صفي الدين البغدادي (عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ت ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، مطبعة الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٧٣/ ١٩٥٤، ص٢١٩

[٧] الرضى الغزي (حمد بن أحمد بن عبد الله الشافعي ت ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م): بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين، تحقيق عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ١٤٢١، ٢٠٠٠م، ص٣٩

[٨] خليل الأقفهسي (خليل بن محمد بن محمد بن عبد الرحيم ت٨٢٠هـ/ ١٤١٧م): إرشاد الطالبين إلى شيوخ قاضي القضاة ابن ظهيرة جمال الدين، تحقيق محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى،١٩٩٩م، ص٤٩

[٩] ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم ٢، ص٦٧٤

[١٠] الرضى الغزي: المصدر السابق، ص٣٣

[١١] الرضي الغزي: المصدر السابق، ص ٢٩. السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري ت ٨٤٩هـ/٩١١م): ذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣، ١٩٨٣، ص٢٤٤. السخاوي (محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوى ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج٥، ص٨٥

[١٢] خليل الأقفهسي: المصدر السابق، ص٥٠

[١٣] خليل الأقفهسي: نفسه، ص٤٩. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم ٢، ص٦٧٤. الشوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م):البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت،ج١،ص ٥٠٦، ٥٠٧

[١٤] ابن حجي (أحمد بن حجي السعدي الدمشقي ت ٨١٦هـ/١٤١٣): تاريخ ابن حجي، تحقيق عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج٢، ص٥٨٧. السخاوي: المصدر السابق، ج٥، ص٨٥

اعتنى به والده لما لمسه فيه من الفطنة والذكاء، حيث ظهر نبوغه من الصغر، فحفظ القرآن الكريم والمتون في العلوم الشرعية وهو في سن مبكرة[١٥]،ثم سافر به أبوه إلى القاهر ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م، وكان عمره اثنتي عشرة سنة، فأحضر على الشيخين جلال الدين القزويني (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)، وتقي الدين السبكي (ت ٧٥٦هـ/١٣٥٥م)[١٦] ، فأثنيا عليه مع صغر سنه[١٧]، وبهرهما بفرط ذكائه وحدة ذهنه.[١٨]

وكانت القدمة الثانية إلى القاهرة سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م، وقد ناهز الاحتلام، فأخذ على غير واحد من العلماء، منهم ابن عدلان، والقماح [١٩]، والعز بن جماعة [٢٠]ثم أدى فريضة الحج بصحبة والده سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م[٢١]، ثم حج بمفرده سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م، لرؤيا رآها أنه يصلي العيدين بمكة[٢٢]وبعد أدائه مناسك الحج زار القدس الشريف وهناك اجتمع بالإمام الحافظ صلاح الدين العلائي.[٢٣] وقد سكن المدرسة الكاملية مدة، وحكى البلقيني عن نفسه: "أنه أول ما دخل الكاملية، طلب من ناظرها بيتاً فامتنع، واتفق مجيء شاعر بقصيدة امتدحه بها، وأنشده إياها بحضرته، فقال له: قد حفظتها، فقال الناظر: إن كان كذلك أعطيتك بيتاً، فأوردتها له سرداً، فأعطاني بيتا". [٢٤]

---

[١٥] ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٤٥. الرضي الغزي: بهجة الناظرين، ص٢٩

[١٦] ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص ٢٤٥. الداوودي (محمد بن علي بن أحمد الداوودي ت ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م): طبقات المفسّرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٢، ص ٥.

[١٧]خليل الأقفهسي: إرشاد الطالبين، ص٥٠

[١٨] السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٨٥

[١٩] خليل الأقفهسي: المصدر السابق، ص٥٠. ابن حجر: المصدر السابق، ج٢، ٢٤٦.الداوودي: المصدر السابق، ص٥.

[٢٠] السخاوي، المصدر السابق، ج٥، ص٨٥

[٢١] الرضي الغزي: المصدر السابق، ص٢٩

[٢٢] السخاوي: نفسه، ج٥، ص٨٥

[٢٣] أبو سعيد صلاح الدين خليل بن كيكلدى الدمشقي الشافعي (ت ٧٦٢هـ/١٣٦٠م)، عَالم بَيت الْمُقَدّس، ولد فِي ربيع الأول سنة ٦٩٤هـ، وَسمع التقي سُلَيْمَان وطبقته ولازم الْبُرْهَان الْقَزارِيّ والكمال الزملكاني وَتخرج بِهِ، وبرع فِي الْفُنُون، وَكَانَ إِمَامًا مُحدثا حَافِظًا متقناً جَلِيلًا فَقِيها أصولياً نحوياً. تاج الدين السبكي (عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، فيصل عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣/ ١٩٦٤، ج١٠، ص ٣٥. ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد، ١٤١٤/ ١٩٩٣ ج٢، ص٩٠.

[٢٤] السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٨٥

اشتغل البُلقيني بطلب الفقه والنحو والفرائض والأصول، وحفظ متون الحديث ورجاله، فحاز من ذلك علماً جماً، وفاق أقرانه، وصار أحفظ الناس لمذهب الشافعي[٢٥]، مع سلامة الذهن والذكاء يفزع إليه في حل المشكلات فيحلها، ويقصد لكشف المعضلات فيكشفها ولا يملها، ولولا أن نوع الإنسان مجبول على النسيان لكان معدوماً فيه، فلم يكن في عصره في الحفظ وقلة النسيان من يماثله بل ولا يدانيه[٢٦]، وواظب على حضور دروس بهاء الدين بن عقيل، شارح الألفية في النحو [٢٧]، وظهر نبوغه وتفرده ، فأعجب به ابن عقيل(ت ٧٦٩ هـ /١٣٦٧ م)[٢٨] ، وجمعتهما صلة النسب وخطبه لابنته ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م[٢٩]، واستقر بزوجته في المدرسة البديرية التي أنشأها ابن عقيل وأوقفها لأجل البلقيني [٣٠].

وظائفه:

تولّى البُلقيني عدة وظائف منها الإفتاء والتدريس، عوضاً عن والد زوجته الشيخ بهاء الدين ابن عقيل (ت٧٦٩هـ/١٣٦٧م)، بعد توليه القضاء سنة ٧٥٩هـ / ١٤٥٤م، و"فوض له البلقيني ما فوضه له السلطان، فباشره عنه".[٣١] كان ابن عقيل يبالغ في الاعتداد بالبلقيني، وكتب له على بعض تصانيفه: «إنه أحق الناس بالفتوى في زمانه".[٣٢]

---

[٢٥] ابن حجي: تاريخ ابن حجي، ج٢، ص٥٨٨

[٢٦] خليل الأقفهسي: إرشاد الطالبين، ص٥١

[٢٧] ابن حجي: المصدر السابق، ج٢، ص٥٨٨

[٢٨] عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهامشي، بهاء الدين ابن عقيل، إمام النحو الشهير، ولد في القاهرة عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م، وهو من نسل عقيل بن أبي طالب، ولي قضاء الديار المصرية مدة قصيرة، ومن مؤلفاته شرح ألفية ابن مالك في النحو. ابن العماد الحنبلي: (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩ م): شذرات الذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، بيروت،١٤١٢هـ/١٩٩٢، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١٠، ص ١٠٦.

[٢٩] الرضي الغزي: بهجة الناظرين، ص٣٠. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ٢٤٦

[٣٠] المقريزي: الخطط، القاهرة، مطبعة النيل، ١٣٢٦هـ ، ج٢، ص ٢٣٧. درر العقود، تحقيق محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ج٢، ص٤٣٢

[٣١] ابن حجر: الدرر الكامنة، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد، ١٤١٤/ ١٩٩٣، ج٢، ص٢٦٦. العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٦، ص٣١٤ الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص ٣٨٦.

[٣٢] المقريزي: السلوك، ج ٤، ص ٢٣٦. ابن حجر: المصدر السابق، ج٢، ص٢٦٦

واستمر على ما هو بصدده من الإفتاء والتدريس، فتفقه عليه وتخرج به جماعة كثيرون من المذاهب الأربعة، طبقة بعد طبقة، قد فاق عددهم عن الحصر[٣٣]ثم ولي إفتاء دار العدل في شهر ربيع الآخر سنة ٧٦٥هـ/١٣٣٦م[٣٤]، ثم ولي التدريس بزاوية الشافعي المعروفة بالخشابية من جامع عمرو بن العاص بمصر، بعد وفاة ابن عقيل سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م، واستمرت بيده ستا وثلاثين سنة إلى حين وفاته يقرر فيها مذهب الشافعي على أعظم وجه وأكمله.[٣٥]

كما تولى قضاء القضاة والإفتاء بدمشق، عوضاً عن تاج الدين عبدالوهاب ابن السبكي، سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م[٣٦] بتكليف من يلبغا الخاصكي والي دمشق تلك الفترة[٣٧]، فباشره مدة أقل من عام [٣٨] ، فدخل جامع بني أمية، وحضر دار الحديث الأشرفية، "فتكلم في فنون كثيرة كلاماً كثيراً محرراً مفيداً، بعبارة فصيحة بليغة، وصوتٍ عالٍ، وأسلوب عجيب، قريب من سمت شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في سجية كلامه، فبهر الفضلاء ممن معه من المصريين، وفضلاء الشاميين" [٣٩] ولم يلبث أن ترك دمشق، عائداً إلى القاهرة الاثنين تاسع ذي الحجة من السنة بمرسوم سلطاني ورد عليه.[٤٠]

كذلك شغل البلقيني وظيفة قاضي العسكر، وذلك سنة ٧٧٣ هـ/ ١٣٧١م، كما درَّس الشيخ البلقيني الفقه على المذهب الشافعي في عدد كثير من المدارس، منها " الْمدرسَة الناصرية بجوار قبَّة الإِمَام الشَّافِعِي – رَحمَه الله –، والتدريس في مدرسة الشَّافِعِيَّة". [٤١]مدرسة إلجاي (ت عام٧٧٥هـ/١٣٧٣م)[٤٢]، و" الزاوية الخشابية"، الملحقة بجامع عمرو بن العاص، والمدرسة

---

[٣٣] ابن حجي، تاريخ ابن حجي، ج٢، ص٥٨٨. علم الدين البلقيني(صالح بن عمر البلقيني ت ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م): ترجمة سراج الدين البلقيني، تحقيق عمر القيام، أروقة للدراسات والنشر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٦/ ٢٠١٥م، ص٨٤

[٣٤] ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص١٢

[٣٥] المقريزي: درر العقود ج٢، ص ٤٣٢. الرضي الغزي: بهجة الناظرين، ص ٣٠

[٣٦] خليل الأقفهسي: إرشاد الطالبين، ص٥١. الرضي الغزي: نفسه، ص ٣١. الداوودي، طبقات المفسرين، ص٥. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص٧٤

[٣٧] الرضي الغزي: المصدر السابق، ص ٣١

[٣٨] ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٢٤٦. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٨٦. الداوودي، طبقات المفسرين، ص٥

[٣٩] ابن حجي: تاريخ ابن حجي، ج٢، ص٥٨٨. المقريزي: درر العقود، ج٢، ص ٤٣٢

[٤٠] ابن حجي: المصدر السابق، ج٢، ص٥٨٨. المقريزي: المصدر السابق، ج٢، ص ٤٣٢

[٤١] ابن حجي: المصدر السابق، ج٢، ص٥٨٨. المقريزي: السلوك، ج٤، ص٣٤٧. ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص١٠٩

[٤٢] تقع خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل كان موضعها وما حولها مقبرة أنشأها الأمير الكبير سيف الدين إلجاي اليوسفي في سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م، وجعل بها درساً للفقهاء الشافعية وآخر للحنفية وخزانة كتب وأقام بها

الظاهرية [٤٣]، وجلس لتدريس التفسير بجامع ابن طولون [٤٤]حتى سنة ٧٧٣ هـ / ١٣٧١م، كما درس في المدرسة المنصورية[٤٥]والحجازية[٤٦] التي أنشأتها صاحبتها لأجل الشيخ البلقيني[٤٧] والخروبية [٤٨] ، والبديرية والملكية[٤٩]، والأشرفية[٥٠] .

منبرا يخطب عليه يوم الجمعة وهي من المدارس المعتبرة الجليلة ودرس بها شيخنا جلال الدين البناني الحنفي. افتتحت مدرسة إلجاي بعد موته، عام ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م، وكان بقي من عمارتها شيء فأكمله الأوصياء، ترقى إلجاي في المناصب حتى تولى نظارة المارستان المنصوري عام ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢م، وتزوج بخوند بركة أم السلطان الملك الأشرف فعظم قدره ، حتى خرج لمحاربة السلطان، بسبب طلبه ميراث أم السلطان بعد موتها، وانتهى الأمر بموته غرقاً، ودفن في مدرسته عام٧٧٥هـ/١٣٧٣م. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٤٩.ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣١، ٤٩. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص١١٨- ١٢٠، ٢١٦

[٤٣] المدرسة الظاهرية أو البرقوقية، أقيمت بمنطقة بين القصرين، تم بناؤها عام ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦م، وعين السلطان فيها مدرسين للفقه على المذاهب الأربعة وللحديث والقراءات. المقريزي: الخطط، ج٢، ٢١٦. الرضى الغزي: المصدر السابق، ص٣١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٩٨، ٢٠٠

[٤٤] المسجد الطولوني: هو أحد المساجد الأثريّة الشهيرة بالقاهرة، أمر ببنائه أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م بمدينته الجديدة القطائع، ليصبح ثالث مسجد جامع بني في مصر الإسلامية، بعد جامع عمرو بن العاص الذي بني في الفسطاط، وجامع العسكر الذي بني في مدينة العسكر. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٦- ٤٠. الداوودي: طبقات المفسرين، ص٦

[٤٥] المدرسة المنصورية: تقع من داخل باب المارستان الكبير المنصوريّ بخط بين القصرين بالقاهرة، أنشأها هي والقبة التي تجاهها والمارستان، الملك المنصور قلاون الألفيّ الصالحيّ، على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعيّ، ورتب بها دروساً فقهية على المذاهب الأربعة، ودرساً للطب، ورتب بالقبة درسا للحديث النبويّ، ودرسا لتفسير القرآن الكريم، وكانت لا يتولى التدريس فيها إلّا أجل الفقهاء. المقريزي: الخطط، ج٢،ص٢١٨ ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص١٠٩

[٤٦] المدرسة الحجازية: تقع برحبة باب العيد من القاهرة بجوار قصر الحجازية، أنشأتها خوند تتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون، زوجة الأمير بكتمر الحجازي، وجعلت بهذه المدرسة درساً للفقهاء الشافعية، وقررت فيه شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، ودرساً للفقهاء المالكية، وجعلت بها منبراً يخطب عليه يوم الجمعة ورتبت لها إماماً راتباً لإقامة الصلاة، وتضم خزانة كتب، وأنشأت بجوارها قبة لتدفن تحتها، وعدة قراء يتناوبون قراءة القرآن، ومكتبا للسبيل فيه عدة من أيتام المسلمين. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٢٢، ٢٢٣

[٤٧] الرضى الغزي: بهجة الناظرين، ص٣١

[٤٨] المدرسة الخروبية: تقع على شاطئ النيل بالقاهرة، أنشأها تاج الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبي، وقف عليها أوقافاً للصرف عليها، وجعل بها مدرساً للحديث، توفى بمكة في ٧٨٥هـ. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٠١

[٤٩] المدرسة الملكية: تقع بالقرب من مسجد الحسين في القاهرة، بناها الأمير الحاج سيف الدين الملك الجوكندار بجوار داره، وجعل فيها درساً للفقهاء الشافعية، وخزانة كتب، وأوقف عليها عدة أوقاف، وهي من المدارس المشهورة في عصر المقريزي. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٣٧. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٨٦

[٥٠] الرضى الغزي: بهجة الناظرين، ص٣١.

كما تولى قضاء العسكر عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م، ثم تنازل عنه [٥١]وعن التدريس لولديه جلال الدين وبدر الدين، وتفرغ البلقيني للإقامة مع السلطان الظاهر برقوق.[٥٢]وتشير بعض المصادر إلى احتفاظ البلقيني بالتدريس في المدرسة الظاهرية المستجدة، والزاوية حتى وفاته.[٥٣]

وفي عام ٧٩٣ هـ/ ١٣٩٠م سافر البلقيني إلى حلب بصحبة السلطان الظاهر برقوق، ودرس بها ثم عاد إلى القاهرة مع السلطان وعظم شأنه، وصار يجلس في مجلس السلطان بجواره وفوق قضاة القضاة[٥٤]، ولى ابنه في حياته وشاع ذكره في الممالك قديماً وحديثاً وعظمه الأكابر فمن دونهم وعكف على التدريس والتصنيف وانتفع به عامة الطلبة.[٥٥] وتخرج به أعيان العصر، ودارت على رأسه الفتوى عدة سنين، وقصده طلاب العلم من الهند واليمن وبغداد وخراسان وبلاد الروم والمغرب والشام والحجاز "[٥٦].

- حضور سلاطين المماليك المجلس العلمي للبلقيني:

حظى مجلس الشيخ البلقيني باهتمام سلاطين المماليك، الذين حضروا المناقشات العلمية التي يتناولها مع نظرائه من العلماء والفقهاء. ومن ذلك عام ٧٦١هـ/١٣٥٩م نزل السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاون(٧٥٧- ٧٦٤هـ/ ١٣٥٦- ١٣٦٣م) إلى القاهرة وقد زينت له المدينة احتفاء به، وقصد المدرسة المنصورية، واجتمع فيها بالقضاة الأربعة على المذاهب المختلفة، وعدد من العلماء والشيوخ ومنهم سراج الدين البلقيني، وابن عقيل، وبهاء الدين السبكي، وغيرهم من العلماء، وقد تدارس العلماء بحضور السلطان، بعض المسائل الدينية، كما قُدمت بعض الهدايا للسلطان، وصار يوزع على من حضر معه من الأمراء.[٥٧] وبعد تولي الظاهر برقوق الحكم، وفي سلطنة الظاهر برقوق، وفي سنة٧٩٧هـ/١٣٩٤م حضر السلطان مجلس العلم الذي يعقده البلقيني بحضور عدد من العلماء والفقهاء والقضاة، لمناقشة مسألة فقهية[٥٨].

---

[٥١] المقريزي: درر العقود، ج٢، ص٤٣٣. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص٢١٦

[٥٢] المقريزي: السلوك، ج٤، ص٣٤٧.السيوطي: ذيل طبقات الحفاظ، ص٢٤٤

[٥٣] الرضى الغزي: بهجة الناظرين، ص٣١

[٥٤] المقريزي: المصدر السابق، ج ٥، ص٣٦٦. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٨٦

[٥٥] المقريزي: المصدر السابق، ج ٥، ص٣٦٦. السخاوي: المصدر السابق، ج٦، ص٨٦

[٥٦] الداوودي: طبقات المفسرين، ص٦

[٥٧] المقريزي: السلوك، ج ٤، ص٢٤٦

[٥٨] المقريزي: المصدر السابق، ج٥، ص٣٦٨

شيوخه:

ابتدأ البلقيني في سن مبكرة طلب العلم، وعني بتحصيله من أعيان عصره في شتى العلوم والمعارف. وقد تعدد شيوخ البلقيني، نذكر بعضهم فيما يلي:

-الإمام الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد بن عدلان الكناني المصري الشافعي (ت٧٤٩/١٣٤٨م) أحد أعيان عصره، سمع من ابن دقيق العيد والدمياطي وغيرهما، وبرع في الفقه، وله شرح مطول لـ "مختصر المزني"، لم يكمله.[٥٩]

- المحدث أبو المعالي شمس الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حيدرة القرشي الشهير بابن القماح (ت٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) من أعيان الشافعية، كان بارعاً في الكثير من العلوم.[٦٠]

- الفقيه نجم الدين الحسين بن علي بن سيد الكل الأزدي الأسواني (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م) تفقه على أبي الفضل التزمنتي، أثنى عليه التقي السبكي، وكان ماهراً في الفقه، كريماً، متصوفاً، منقطعاً عن الناس شريف النفس.[٦١]

-الفقيه زين الدين أبو حفص عمر بن أبي الحرم بن عبد الرحمن الكتناني الدمشقي الأصل المصري الشافعي (ت٧٣٨هـ/١٣٣٧م)، تفقه بالتاج الفزاري، وقرأ الأصول على البرهان المراغي، كان إماماً محققاً مدققاً.[٦٢]

-الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٦م)، صاحب المصنفات التاريخية "تاريخ الإسلام"، و"سير أعلام النبلاء"، و"تذكرة الحفاظ". سمع ما لا يحصى كثرة من دواوين السنة، يقول التاج السبكي عنه: "بحر لا نظير له، إمام الوجود حفظاً، وذهب العصر معنى ولفظاً"، أجاز البلقيني إجازة عامة[٦٣].

- الإمام العلامة الفقيه عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي الشافعي (ت٧٦٧هـ/١٣٦٥م) قاضي القضاة. كان من أعيان العلماء مقتصداً في كل شيء، تفقه على والده الإمام بدر الدين، وأخذ عن العلاء الباجي وأبي حيان النحوي، وصنف وأبدع، ومنها" تخريج أحاديث الرافعي".[٦٤]

---

[٥٩] السبكي: طبقات الشافعية، ج٩، ص ٧٩. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٣٣

[٦٠] السبكي: المصدر السابق، ج٦، ص١٧٠. ابن حجر: المصدر السابق، ج٣، ٣٠٣، ٣٠٤

[٦١] السبكي: المصدر السابق، ج٩ ،٤٠٩. ابن حجر: نفسه، ج٢، ص٦٠، ٦١

[٦٢] ابن قاضي شهبة (أحمد بن محمد بن عمر ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م): طبقات الشافعية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، ج٢، ص٢٧٦. ابن حجر: المصدر السابق، ج٣، ١٦٠- ١٦٤

[٦٣]السبكي: المصدر السابق، ج٩، ص١٠٠. ابن حجر: نفسه، ج٣، ٣٣٦- ٣٣٨

[٦٤] السبكي: نفسه، ج ١٠، ص ٧٩. المقريزي: درر العقود، ج ٢، ص ٢٩٨. ابن حجر: نفسه، ج٢، ٣٧٩- ٣٨١.

وغيرهم الكثير من العلماء مما يضيق المقام عن ذكرهم، وقد لخص الحافظ ابن حجر هذه المرحلة من حياة البلقيني بقوله: "ووأفتى ودَرَّس وهو شاب وبحث وناظرالأكابر، وظهرت فضائله، وبهرت فوائده، وطار في الآفاق صيته، وانتهت إليه إليه الرياسة في الفقه والمشاركة في غيره حتى كان لا يجتمع به أحد من العلماء إلا ويعترف بفضله ووفور علمه وحدة ذهنه". [٦٥]

تلاميذه:

تخَرج على السراج البلقيني –رحمه الله– عددٌ كبيرُ من طلبة العلم الذين نهلوا من فيض علومه المتعددة، " وكثر طلبته فنفعوا، وأفتوا، ودرَّسوا، وصاروا شيوخ بلادهم "[٦٦]، وقد أشارت المصادر التاريخية التي ترجمت للبلقيني، إلى ازدحام طلبة العلم على حضور مجالسه العلمية، ويقصر بنا المقام لسرد أسمائهم، سواء من بيت البلقيني، وغيرهم من أهل العلم، ونذكر بعضهم فيما يلي:

– بدر الدين أبو اليمن محمد بن عمر بن رسلان البلقيني (ت٧٩١هـ/١٣٨٨م)، سبط البهاء ابن عقيل، ولد سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م[٦٧]، وأخذ عن مشايخ عصره، منهم الجمال الأسنوي، وأخد العربية عن جده لأمه ابن عقيل، واتصف بالذكاء والفطنة، وحسن الصورة، وقد تولي قضاء العسكر في مصر[٦٨]، لكنه لم يمتد به العمر، ومات في حياة والده، وقد جاوز الثلاثين من عمره، فاشتد حزن والده عليه، ودفنه بمدرسته التي أنشأها رحمه الله. [٦٩]

. جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني (ت ٨٢٤هـ/١٤٢١م) قاضي القضاة، نشأ في بيت علم في كنف أبيه، فحفظ القرآن وهو صغير، والمتون، وألفية ابن مالك، وتفقه على أبيه.[٧٠]وحضر على الجمال الأسنوي، تولى الإفتاء بدار العدل ٧٨٩هـ/١٣٨٧م[٧١]، ودخل دمشق مع أبيه سنة ٧٩٦ هـ/١٣٩٣م، ثم تولي قضاء العسكر بعد موت أخيه البدر سنة ٧٩١هـ[٧٢]، وكان والده يعظمه ويصغي إلى أبحاثه، وولي منصب قضاء القضاة

---

[٦٥]ابن حجي: تاريخ ابن حجي، ج٢، ص٥٨٨. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٢٤٧

[٦٦] السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٨٦

[٦٧] المقريزي: درر العقود، ج ٣، ص ٥٨. ابن حجر: المصدر السابق، ج١، ص٣٨٩

[٦٨] ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص٣٣٧

[٦٩]المقريزي: المصدر السابق، ج٣، ٥٨. ابن حجر: المصدر السابق، ج١، ص ٣٨٩ الرضى الغزي: بهجة الناظرين ص٨٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص٤١٠

[٧٠] السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص ١٠٧

[٧١] الصيرفي(على بن داوود بن إبراهيم ت ٩٠٠ هـ/١٤٩٤م): نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، مركز تحقيق التراث، وزارة الثقافة، جمهورية مصر العربية، ١٩٧٠، ص١٥٦

[٧٢] الصيرفي: نفسه، ص٢٥٢

٨٠٤هـ/١٤٠١م[٧٣]، ودَرس التفسير في المدرسة البرقوقية، والجامع الطولوني، وله عدد من المؤلفات، منها "الإفهام بما وقع في صحيح البخاري من الإبهام"، و"مناسبات أبواب تراجم البخاري".[٧٤]

. أبو البقاء علم الدين صالح بن عمر بن رسلان البلقيني (ت٨٦٨هـ/١٤٦٣م)، قاضي القضاة[٧٥]. ولد سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م بالقاهرة، ونشأ بها في كنف أبيه، فحفظ القرآن و"العمدة" و"ألفية النحو" و"منهاج الأصول"، وحضر إملاء الحافظ العراقي، وأخذ الفقه عن والده، وأملى عليه غالب «التدريب»، وأخذ النحو عن الشمس الشطنوني، ولي تدريس المدرسة الخشابية بعد أخيه الجلال، وقضاء الديار المصرية سنة ٨٢٦هـ، خلفاً للإمام ولي الدين العراقي.[٧٦]وله عدد من المؤلفات منها: «تفسير القرآن»، وكمل «التدريب» ، وكمل على «شرح مختصر المزني» لأخيه، وعلى «حواشي الروضة » و«الكشاف» و«البخاري» لأبيه، وكمل لأبيه ترجمة، ولأخيه ترجمة، وجمع فتاوى والده، وسمع عليه الكثير من "الصحيحين" و"الشفاء".[٧٧]

. الإمام بهاء الدين أبو الفتح رسلان بن أبي بكر بن رسلان بن نصير البلقيني (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م) ابن أخي السراج البلقيني، أخذ عن عمه وغيره من علماء عصره، وأفتى ودرس وناب في الحكم، وحُمدت سيرته في القضاء، وصنف «حواشي الروضة»[٧٨]

– المؤرخ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ/١٤٤٨م)، صاحب المصنفات البديعة "فتح الباري"،" إنباء الغمر"، " رفع الإصر عن قضاة مصر" وغير ذلك من المؤلفات الدالة على تعدد فنونه وعلومه، درس على الشيخ البلقيني ولازمه، وترجم له في مؤلفاته، قال عنه: خرجت له أربعين حديثا عن أربعين شيخاً حدث بها مراراً وقرأت عليه دلائل النبوة للبيهقي، فشهد لي بالحفظ في المجلس العام".[٧٩]

---

[٧٣] ابن إياس: نفسه، ج١، قسم٢، ص٦٤٦، ٦٤٧

[٧٤] المقريزي: درر العقود الفريدة، ج٢، ص٢٤١. ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة، تحقيق عدنان درويش، معهد المخطوطات العربية، ١٤١٢ / ، ١٩٩٢، ص٢٨٥. رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي ١٤١٨ / ١٩٨٨ ، ص٢٢٦– ٢٢٩ الرضا الغزي: المصدر السابق، ص٢١٩

[٧٥] ابن حجر: نفسه، ص١٧٧، ١٧٨

[٧٦] ابن حجر: المصدر السابق، ص ٢٢٨

[٧٧] علم الدين البلقيني: التجرد والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام، تحقيق عمر حسن القيام، أروقة للنشر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥، ج١، ص٣٢

[٧٨] ابن قاضي شهبة: الطبقات، ج٢٤، ص٤. ابن حجر: إنباء الغمر،٤، ص ٢٧٦. السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص ٢٢٥

[٧٩]ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٢٤٦

– الفقيه المؤرخ تقي الدين أبو بكر بن الشهاب أحمد بن محمد بن عمر الدمشقي الشافعي المشهور بابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م)[٨٠]. صاحب «طبقات الشافعية» و"مناقب الشافعي وأصحابه". ترجم له ولده أبو بكر أحمد في تاريخه المسمى بـ «تاريخ ابن قاضي شهبة»، استعرض فيه قائمة شيوخه، وأهمهم السراج البلقيني.[٨١]

مؤلفاته:

للشيخ البلقيني مؤلفات كثيرة في علوم شتى، مما يدل على سعة علمه واشتغاله بشتى علوم عصره، إلا أنّ أغلب هذه المؤلفات لم يتم، وذلك لغزارة علمه، فكان يبدأ في التصنيف ويسترسل في الكتابة، فيطول الشرح ويمتد، وما يلبث أن يبدأ في كتابة غيره، مع عدم إتمام ما بدأه، "بسبب كثرة أشغاله والتدريس والإفتاء"[٨٢] وقد قام ابناه جلال الدين، وعلم الدين بإتمام ما ابتدأه والدهما.[٨٣]كما كتب علم الدين البلقيني ترجمة لوالده جمع فيها سيرته ومؤلفاته وآراء العلماء فيه. ونذكر فيما يلي بعض مؤلفاته أهمها:

فتاواه التي قام ولده الإمام علم الدين البُلقيني بجمعها وترتيبها ونُشرت تحت عنوان:" التجرد والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام" [٨٤]

–"تفسير القرآن "ويقع في ثلاثة عشر جزءاً[٨٥].

– كتاب الكشاف على الكشاف[٨٦]

– شرحان على الترمذي والبخاري[٨٧].

– محاسن الإصلاح وتضمين ابن الصلاح [٨٨]

---

[٨٠] وسبب التسمية بهذا الاسم أن أحد أجدادهم وهو نجم الدين عمر كان قد تولى القضاء في بلدة شهبة من بلاد حوران مدة أربعين عاماً، فعرف أبناؤه وأحفاده بهذا الاسم أبناء قاضي شهبة. علم الدين البلقيني: التجرد والاهتمام، ص٤٤

[٨١] المقريزي: درر العقود، ج١، ١٤٠. تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٢، ١٦– ٣٦

[٨٢] الرضى الغزي: بهجة الناظرين، ص٣٤

[٨٣] ابن حجي: تاريخ ابن حجي، ج٢، ص ٥٨٨. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٨٧، ٨٨

[٨٤] حُققت ونُشرت في ثلاثة مجلدات بدارأروقة للدراسات والنشر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م

[٨٥] غير منشور، الرضى الغزي: بهجة الناظرين، ص٣٤

[٨٦] غير منشور، ذكره حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي ت ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٧م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون تحقيق محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج٢، ١٤٧٥

[٨٧] غير منشور ذكره الداوودي: طبقات المفسرين، ص٦

[٨٨] المقريزي: درر العقود، ج٢، ص٤٣٣. الرضى الغزي: بهجة الناظرين، ص٣٤. الداوودي: طبقات المفسرين، ص٦. وقد نشرت د. عائشة عبد الرحمن "مقدمة ابن الصلاح"ومعه نص محقق لكتاب" محاسن الاصطلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح"

– تصحيح المنهاج في الفقه، وسماه "التدريب"، ولم يكمله .[٨٩]

– حواشي الرافعي[٩٠] و الروضة[٩١]

–الفوائد الجسام على قواعد ابن عبد السلام[٩٢]

– قطر السيل في أمر الخيل[٩٣]

– نشر العبير لطي الضمير[٩٤]

مدرسة البلقيني:

أنشأ الشيخ سراج الدين البلقيني مدرسة بالقرب من بيته، في حارة بهاء الدين بالقاهرة [٩٥] وقد ورد ذكر هذه المدرسة في عدد من المصادر [٩٦]، وخرّجت آلاف العلماء، وجمع فيها كل مريديه ومحبيه من نوابغ الطلاب، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة[٩٧]. تعلم في هذه المدرسة أولاده وأحفاده من علماء بيت البلقيني، وكان ابن حجر العسقلاني أحد طلاب هذه المدرسة.[٩٨]

وفاته:

توفى شيخ الْإِسْلَام عمر البلقيني يَوْم الْجُمُعَة عَاشر ذِي الْقعدَة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م[٩٩]عَن إِحْدَى وَثَمَانِينَ سنة [١٠٠]، وكانت جنازته حافلة بحضور الخليفة والأعيان والأمراء، وَقد انْتَهَت إِلَيْهِ رياسة الْعلم فِي أقطار الأَرْض وَدفن– رحمه الله– بمدرسته[١٠١].

---

[٨٩] غير منشور، المقريزي: درر العقود، ج٢، ص٤٣٣. ابن حجر: الذيل على رفع الإصر، ص١٧٢. الداوودي: طبقات المفسرين، ص٦.

[٩٠] المقريزي: درر العقود، ج٢، ص٤٣٣

[٩١] غير منشور، ابن حجر: المصدر السابق، ص١٧١. الداوودي: طبقات المفسّرين، ج٢، ٥.

[٩٢] تحقيق: محمد يحيى بلال منيار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.طبعة أخرى تحقيق عمر حسن القيام، نشر في دار أروقة للدراسات والنشر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٦٣هـ/٢٠١٥م، ضمن المكتبة البُلقينية.ونشر أيضاً ضم المكتبة البُلقينية ، " مجموعة الرسائل البُلقينية" لشيخ االإسلام سراج الدين وولديه جلال الدين وعلم الدين– في مجلدين، وللشيخ أكثر من سبع رسائل.

[٩٣] تحقيق حاتم صالح الضامن، طبع في دار البشائر– دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

[٩٤] تحقيق حامد فرحان جاسم، ونشرها في مجلة الجامعة العراقية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، عدد٥٣، ج٣، ٢٠٢٢م

[٩٥] وهي موجودة حالياً وتقع بحي باب الشعرية. المقريزي: السلوك: ج٦، ص ٩٣. درر العقود، ج٢، ص٤٣٤ابن حجي: تاريخ ابن حجي، ج٢، ص٥٨٨. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص ٨٩

[٩٦] السخاوي: البلدانيات، تحقيق حسام محمد القطان، دار العطاء للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢/ ٢٠٠١، ج ١، ص ١٢. الضوء اللامع، ج ٨، ص ٢، ٢٠٥

[٩٧] السخاوي: المصدر السابق، ج٦، ص ٨٩

[٩٨] السخاوي: نفسه، ج٦، ص ٨٩

[٩٩] المقريزي: درر العقود، ج٢، ص٤٣٤.الأقفهسي: ارشاد الطالبيين، ص٥١. ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم٢، ص ٦٧٤

[١٠٠] الرضى الغزي: بهجة الناظرين، ص٣٥. ابن إياس: المصدر السابق، ج ١، قسم٢، ص ٦٧٤

[١٠١] الرضى الغزي: المصدر السابق، ص٣٦. بدائع الزهور، ج ١، قسم٢، ص ٦٧٤

المبحث الثاني: الدور السياسي لشيخ الإسلام البُلقيني:

علاقة البُلقيني بالسلاطين والأمراء:

حرص سلاطين دولة المماليك على تقريب العلماء، وامتلأت مجالسهم بالعلماء والفقهاء والأدباء، وحرصوا على استشارتهم في أمورهم، وما نزل بهم من أحداث، والعمل – في أحيان كثيرة– بآرائهم، وكان البلقيني قريباً من صناع القرار، وهو بمثابة المستشار السياسي للسلطان، يحضر المجالس السلطانية، ويشارك السلطان في اتخاذ قراراته[١٠٢].

وقد اتسمت تلك الفترة بالاضطرابات وكثرة الثورات، ويرجع ذلك لصغر سن السلاطين، الذين أصبحوا ألعوبة وأداة طيعة في أيدي الأمراء الذين تجرأوا على عزل السلاطين وقتلهم وتنصيب آخرين مكانهم متى شاءوا، وذلك بسبب ازدياد نفوذ الأمراء، الذين ظهر التنافس فيما بينهم، وتعصبت كل فرقة لأميرها الذي يضمن تحقيق مصالحها الشخصية.

موقف البُلقيني من الثورات الداخلية للأمراء:

شارك البلقيني السلاطين والأمراء في العمل على استقرار الدولة والتصدي لحركات التمرد والعصيان التي قام بها الأمراء، ومن ذلك ما حدث سنة ٧٦٨هـ /١٣٦٦م عندما ثار عدد من الأمراء على الأمير أسندمر[١٠٣]بسبب ما وصل إليه من الاستبداد بالأمور في عهد السلطان الأشرف شعبان(٧٦٤– ٧٧٨هـ/ ١٣٦٣–١٣٧٧م) [١٠٤]، ورغم أن الأمير أسندمر استطاع مواجهة هؤلاء الثوار و قمع ثورتهم، "إلا أن السلطان الأشرف شعبان بعد انتهاء هذه الفتنة جمع الأمراء والمماليك بحضرة القضاة الأربعة والشيخ البلقيني، وقاموا بتحليفهم على البقاء على طاعة السلطان وعدم إثارة الفتن ضده".[١٠٥]

وكانت مراسم تعيين المنصور على بن الأشرف شعبان (٧٧٨– ٧٨٣هـ/١٣٧٧– ١٣٨١م) سلطاناً، تعد إنقلاباً من الأمراء، فقد استغل بعضهم خروج الأشرف شعبان سنة ٧٧٨هـ / ١٣٧٧

---

[١٠٢] المقريزي: درر العقود، ج٢، ص٤٣٣

[١٠٣] أسندمر بن عبد الله الأتابكي الناصري الأمير سيف الدين، هو من مماليك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، كان أتابك العسكر بمصر، ثار على الأشرف شعبان، فقبض عليه وسجنه بالإسكندرية حتى توفي سنة ٧٦٩ هـ/ ١٣٦٧ م. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ١، ص٣. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج ٢، ص ٤٤٠

[١٠٤] الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون، حكم أربعة عشر عاماً، وكان كثير الصدقات والبر بالناس، وأبطل كثيراً من الضرائب والمكوس، ومات مقتولاً ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م. ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم ١ص ١٨١، ١٨٢. ابن شاهين الظاهري: نزهة الأساطين، ص١٠٨– ١٠٩

[١٠٥] ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م): تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٨م، ج ٣، ص ٣٠١. المقريزي: السلوك، ج ٣، ص ١٤٢. ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم ١ص ٢، ص ٥

من مصر[١٠٦]، وأشاعوا خبر وفاته، وقاموا بقتله، وطلبوا حضور ابنه الأمير علي [١٠٧]من الدور السلطانية وسلطنوه عليهم وذلك بعد أخذ الموافقة على سلطنته من العلماء والقضاة ومنهم الشيخ البلقيني[١٠٨] .

وبدأت دولة المماليك الجراكسة بتولي الظاهر برقوق، واستمرت الثورات والاضطرابات الداخلية، ومن ذلك ما حدث عام ٧٨٥هـ/١٣٨٣م، حينما وصلت أخبار إلى السلطان الظاهر برقوق بأن الخليفة العباسي المتوكل على الله اجتمع ببعض الأمراء يريد الثورة على السلطان، وعزله من السلطنة، بسبب ظلمه وأخذه أموال الناس بالباطل . حسب زعمه – وعندما سأل السلطان الخليفة المتوكل على الله، عن صحة هذه الأخبار أنكر ذلك بشدة، إلا أن بعض الأمراء المتورطين في هذه القضية شهدوا على صحة هذه الرواية، فأراد السلطان قتل الخليفة، لكن بعض الأمراء منعه من ذلك ، فسعى السلطان برقوق للحصول على فتوى توجب قتله، فجمع القضاة الأربعة والشيخ البلقيني، وشرح لهم ما قام به الخليفة المتوكل على الله، وسألهم عن حكم قتله جزاء ما فعل، فلم يجز القضاة ذلك ، فاكتفي بسجنه في القلعة وخلعه من الخلافة، وعين بدلا عنه الخليفة الواثق بالله، وأنزل عقوبة رادعة بالأمراء المتورطين في هذه القضية [١٠٩].

–ثورة يلبغا الناصري:

من الثورات المهمة التي واجهها الظاهر برقوق في بلاد الشام، ثورة يلبغا الناصري سنة ٧٩١هـ /١٣٨٨م، شارك فيها عدد من النواب الأتراك، بسبب تقريب السلطان للجنس الجركسي، وتزعم يلبغا الناصري نائب حلب هذه الثورة[١١٠]، وقد حاول الظاهر برقوق التعامل معها بالطرق السلمية أولاً، قبل اتخاذ إجراء عسكري، حيث أوفد إلى يلبغا الناصري وفداً من القضاة والعلماء لنصحه وإقناعه بعدم الخروج عن الطاعة وقالوا له: "جئنا في الصلح وتطيع لهذا السلطان فإنه حاكم وإمام، قال الله تعالى: "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم" ، فطاعته واجبة على كل مسلم ولا

---

[١٠٦] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٥٩– ٦٥

[١٠٧] المنصور علاء الدين علي بن الأشرف شعبان، تولى السلطنة بعد مقتل والده بثلاثة أيام، وكان صغير السن، فلم يتجاوز سبع سنوات، وكانت مدة حكمه خمس سنوات وثلاثة أشهر. ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص١٩٥. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص١١٨، ١١٩. ابن شاهين الظاهري: نزهة الأساطين، ص١١٠

[١٠٨] ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص١٨٩

[١٠٩] المقريزي: السلوك ٥، ص ١٥٢– ١٥٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٩٣، ١٩٤

[١١٠] يلبغا الناصري: أحد الأمراء الكبار في عصرالظاهر برقوق، ناب عنه في حكم حلب فترة، ثم ثار بمساعدة منطاش على السلطان برقوق الذي نجح في القضاء عليه وقتله. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ٤٣١. ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم٢، ٣٩٦، ٣٦٧

ينبغي مخالفته، وقتال المسلمين وإراقة دمائهم ليس برأي، والصواب في ذلك إخماد الفتنة بإطاعة الإمام".[١١١]

فرد عليهم بقوله: "يا علماء الزمان، ليس في قولكم شك ولا ريب. ما تقولون فيمن يريد قتل نفس مؤمنة بغير حق؟ ماذا يجب عليه؟ فأطرقوا في الأرض فقال: "ما تقولوا؟ قالوا: "إذا كان قصده هذا يقتل شرعاً فقال لهم: "اكتبوا خطوطكم" فكتبوا خطوطهم، فلما كتبوا أخرج لهم خطوط العلماء المقيمين بحلب وحماة "[١١٢].

ويتضح من هذا النص فشل جهود الوفد في إيقاف الأمير يلبغا عن ثورته، وبعد تأكد الظاهر برقوق من إصرار يلبغا الناصري على الخروج عن الطاعة، استدعى شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني والقضاة والعلماء وكبار الأمراء إلى القلعة ومعهم الخليفة العباسي، وقام بتحليف الأمراء والخليفة على الطاعة له، وذلك بحضرة القضاة والعلماء[١١٣].

وعقد الظاهر برقوق مجلساً للتشاور مع كبار الأمراء والقضاة والعلماء، وقرروا إرسال فرقة من الجيش لحرب يلبغا الناصري، كما قام السلطان مرة أخرى بتحليف الأمراء بحضرة القضاة على طاعته وعدم الخروج عليه.[١١٤]

وبالقرب من دمشق التقى الجيش المصري، وقوات يلبغا الناصري، ودارت بين الطرفين معركة انتهت بهزيمة كبيرة للجيش المصري، وأحكم الناصري قبضته على دمشق، وقد وصلت أنباء الهزيمة إلى القاهرة، ومما أدى إلى زيادة الأوضاع سوءا فيها انتشار مرض الطاعون بين الناس وكثر عدد الموتى.[١١٥]

"ولما ورد الخبر من غزة بكسرة الأمراء والمماليك في محاربة الناصري، واستيلائه على دمشق، وقتل الخليلي، والقبض على الأمير أيتمش وغيره، فاضطربت الناس بالقاهرة ومصر وظواهرهما اضطرابا عظيما، وغلقت الأسواق، وانتهبت الأخباز، وشغب الزعر، وتجمع أهل الفساد. وكان في البلد وباء، والناس في شغل بدفن موتاهم، فاشتد الخوف، وتزايد الإرجاف، وشنعت القالة." [١١٦]

وقد كلف السلطان الظاهر برقوق كلاً الخليفة المتوكل على الله والقضاة الأربعة وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني، ونائب السلطنة الأمير سودون الشيخوني مهمة الخروج في موكب تحذيري للعامة في الطرقات، بهدف استمالة عواطف الناس، وربما أراد برقوق توصيل رسالة ،

---

[١١١] المقريزي: السلوك، ج ٥، ص ٢١٨. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢١٧، ٢١٨

[١١٢] المقريزي: المصدر السابق، ج ٥، ٢١٨. ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج١١، ص٢١٧، ٢١٨

[١١٣]الصيرفي: نزهة النفوس، ص١٩٦. ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم٢، ٣٩٨، ٣٩٩

[١١٤] المقريزي: نفسه، ج ٥، ص ٢١٨. ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج١١، ص٢١٧، ٢١٨

[١١٥] المقريزي، نفسه، ج ٥، ص ٢٢١

[١١٦] المقريزي: نفسه، ج٥، ص٢٢١. ابن تغري بردي: نفسه، ج١١، ص ٢٢٣

وهى أن العلماء والخليفة يقفون معه في مواجهة خروج يلبغا الناصري، كما أوكل إلى رجل كان يمشي أمام هذا الموكب بأن ينادي في الناس على لسان السلطان الظاهر برقوق بقوله: "إن السلطان قد أزال المظالم، وهو يأمر الناس بتقوى الله، ولزوم الطاعة، وإنا قد سألنا العدو الباغي في الصلح، فأبى وقد قوي أمره، فاحفظوا دوركم وأمتعتكم، وأقيموا الدروب على الحارات والسكك وقاتلوا عن أنفسكم وحريمكم"[١١٧].

ويتضح من هذا النص حرص الظاهر برقوق على إحاطة نفسه بالعلماء والقضاة ومنهم شيخ الإسلام البلقيني، حتى يكون الانطباع العام أنه الحاكم الشرعي المؤيد من الخليفة والعلماء، وأن يلبغا الناصري خارج عن طاعته ومواجهته واجب شرعي.

وبالرغم من الجهود التي بذلها العلماء والقضاة، لمواجهة تمرد يلبغا الناصري وخروجه عن طاعة برقوق، فإن هذه المحاولات فشلت، وبلغ الأمر بيلبغا بعد أن انضم له منطاش نائب ملطية[١١٨]، وتمكنا من دخول القاهرة [١١٩]وعزل الظاهر برقوق من السلطنة، الذي خرج من مصر، فاراً إلى الكرك. وأعيد إلى السلطنة الملك الصالح حاجى بن الأشرف شعبان، ولقب بالمنصور" [١٢٠]. إلا أنه ساءت العلاقة بين يلبغا الناصري ومنطاش، بسبب الاختلاف حول الأموال والاقطاعات وتخوف كل منهما من الآخر[١٢١]، والتف أهل الكرك والأعيان حول برقوق وبايعوه بالسلطنة سنة ٧٩١هـ /١٣٨٨م ، وانضم له مؤيدون من الجراكسة المقيمين في بلاد الشام ومن المماليك القادمين عليه من مصر.[١٢٢]

وعندما بلغت أخبار برقوق إلى منطاش ويلبغا في القاهرة، قام بجمع القضاة والخليفة والعلماء، لاستصدار فتوى تجيز قتال برقوق، وذلك على شكل سؤال عن: حكم رجل خلع الخليفة والسلطان وقتل شريفاً في الشهر الحرام والبلد الحرام وهو محرم، واستحل أخذ أموال الناس وقتل الأنفس[١٢٣]

---

[١١٧] المقريزي: السلوك، ج٥،ص٢٢٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج١١،ص٢٢٢، ٢٢٣. الصيرفي، نزهة النفوس، ص١٩٧

[١١٨] هو أحد المماليك الذين اشتراهم الظاهر برقوق وأعتقهم، ولا زال يترقى في المناصب حتى تولى نيابة ملطية. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص٣٠١، ٣٧٣

[١١٩] ابن تغري بردي: نفسه، ج١١، ص٢٣٣. الصيرفي: نزهة النفوس، ص٢٠٩، ٢١٠

[١٢٠] المقريزي: نفسه، ج ٥، ص٢٣٤. ابن تغري بردي: نفسه، ج١١، ص٢٣٧.ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص٤٠٣. ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص٣٦٨

[١٢١] ابن تغري بردي: نفسه، ج١١، ص٢٧٤- ٢٧٨. الصيرفي: نزهة النفوس، ص٢٣٦- ٢٣٨. ابن إياس: نفسه، ج١، قسم٢، ص٤١١

[١٢٢] المقريزي: نفسه، ج ٥، ص٢٥٢

[١٢٣] المقريزي: نفسه، ج ٥، ص٢٥٢. الصيرفي: نزهة النفوس، ٢٦٢

وزيد فيها: "أنه يستعين على قتال المسلمين بالنصارى"[١٢٤]. وكتب منها عدد من النسخ، ليكتب عليها القضاة والفقهاء، فكان ممن كتب عليها شيخ الإسلام البلقيني، وكان جوابه:" أنه إذا قامت عليه البينة بذلك فهو خارجي، ويجب قتاله ومحاربته"[١٢٥]، ووافقه ابنه جلال الدين عبد الرحمن قاضي العسكر وعدد من القضاة، أما الشيخ شمس الدين الركراكي المالكي فقد امتنع من الكتابة على هذه الفتوى". [١٢٦]

ويبدو أن الشيخ البلقيني تردد في التوقيع على هذه الفتيا، وذلك لأنهم اجتمعوا مع منطاش لأجل هذا الغرض وانفضوا دون نتيجة تذكر، ويظهر أن منطاش ألح عليه وعلى باقي العلماء وأصر على أخذ توقيعاتهم، وذلك بعد مرور يومين من الاجتماع الأول. فيذكر المقريزي:" استدعى الأمير منطاش الخليفة المتوكل على الله، وقضاة القضاة، وشيخ الإسلام، وأعيان أهل العلم، فرتبوا صورة فتيا في أمر الملك الظاهر، وانفضوا من غير شيء." [١٢٧]

عزم الظاهر برقوق على الخروج من الكرك والتوجه إلى القاهرة، بصحبة أتباعه الذين تجمعوا خارج أسوار الكرك يتقدمهم قاضي الكرك عماد الدين أحمد بن عيسى المقيري[١٢٨] سار السلطان ومعه أنصاره من التركمان والعربان، من مصر وبلاد الشام، في طريقهم إلى مصر.[١٢٩]

وقد خرج الجيش المصري من القاهرة في ١٧ ذي الحجة ٧٩١هـ /١٣٨٨م وعلى رأسه السلطان الجديد المنصور أمير حاج [١٣٠]واصطحب معه الخليفة المتوكل على الله وقضاة مصر الأربعة وفي مقدمتهم القاضي الشافعي أبو البقاء السبكي، والقاضي الحنفي شمس الدين محمد الطرابلسي، والقاضي المالكي تاج الدين بن بهرام الزبيري، والقاضي الحنبلي ناصر الدين نصر الله بن محمد العسقلاني .[١٣١]

---

[١٢٤] الصيرفي: نزهة النفوس، ٢٦٤

[١٢٥] ابن إياس: نفسه، ج١، قسم٢، ص٤١٨

[١٢٦] المقريزي: نفسه، ج ٥، ص٢٦٤. ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص٣٧٧.ابن تغري بردي: نفسه، ج١١، ص٢٩٩، ٣٠١

[١٢٧]المقريزي: السلوك، ج ٥، ص٢٦١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٩٦. الصيرفي: نزهة النفوس، ص٢٦٢

[١٢٨] ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج١١، ص٢٩٨، ٢٩٠. الصيرفي: المصدر السابق، ص٢٤٩

[١٢٩] ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص٣٧٧. ابن تغري بردي: نفسه، ج١١، ص٣٠٥. الصيرفي: المصدر السابق، ص٢٤٩

[١٣٠] ابن حجر: الدرر الكامنه، ج٢، ص٣؛ السخاوي: وجيز الكلام، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ج١، ص ٢٩- ٣٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩، ص ٢٩٤

[١٣١] المقريزي: السلوك، ج٣، ص ٦٦٥-٦٦٧، ج ٥، ص٢٧٦- ٢٧٧. ابن تغري بردي: النجوم، ج١١، ص٢٩٩

ونلاحظ أن البلقيني لم يشارك في الجيش الذي خرج من مصر بقيادة منطاش، لمواجهة برقوق، مما يؤيد فكرة إكراه البلقيني على التوقيع على الفتيا ضده.

وفي أوائل عام ٧٩٢هـ /١٣٨٩م حدثت في شقحب معركة بين الظاهر برقوق، والسلطان المنصور فكانت الهزيمة في أول الأمر من نصيب الظاهر برقوق الذي انكسر واختفى عن الأنظار [١٣٢]، ودخل منطاش دمشق، ولجأ الملك المنصور علي وبعض العسكر إلى جبل قريب من دمشق، وبصحبته الخليفة والقضاة وخزائن الأموال، فلما علم الظاهر برقوق بمكانه هجم عليه ليلاً، وتمكن من القبض على السلطان المنصور، ولما بلغ العسكر خبر برقوق، تجمعوا إليه حيث جمع جيشا التقى به منطاش مرة أخرى في شقحب[١٣٣]. وانتهى الأمر بعقد الصلح بين الظاهر برقوق و السلطان المنصور، على أن يتم خلع الملك المنصور من السلطنة ويرجع برقوق للحكم، وأحضر الخليفة والقضاة وأشهدهم على خلع نفسه من السلطنة مقابل طلب الأمان من الظاهر برقوق الذي كتب إلى المنصور علي بذلك[١٣٤]، وعاد الظاهر برقوق سلطاناً على البلاد.[١٣٥]واستقبل في مصر باحتفال شعبي كبير، وكان في استقباله الخليفة العباسي، والقضاة الأربعة والشيخ البلقيني ، والأمراء، وأرباب الوظائف، والأعيان " ولاقتهما المغاني، وانطلقت النساء في الطرقات بالزغاريد، وكان يوماً مشهوداً".[١٣٦]

وفي شعبان ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣م وجه برقوق مرسوماً بسفر الشيخ البلقيني إلى الشام برفقة السلطان برقوق، وعساكره لإقرار الأحوال في دمشق والقضاء على منطاش"[١٣٧] ورسم لشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني وقضاة العسكر، ومفتي دار العدل، وبدر الدين محمد بن أبي البقاء الشافعي، وبدر الدين محمد بن فضل العمري بالسفر، فتجهزوا لذلك[١٣٨]. ونزل السلطان بعد صلاة الظهر

---

[١٣٢]المقريزي: نفسه، ج ٥، ص ٢٧٦- ٢٧٧. ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ٣٧٥. ابن تغري بردي: نفسه، ج١١، ص٢٩٥

[١٣٣] ابن حجر: المصدر السابق، ج١، ص٣٩٢. الصيرفي: نزهة النفوس، ص٢٦٠. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص٤٢٦، ٤٢٧

[١٣٤] ابن حجر: المصدر السابق، ج١، ٣٧٧. الصيرفي: المصدر السابق، ص٢٨٦. ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص ٤٢٧.

[١٣٥] المقريزي: السلوك، ج ٥ ، ص ٢٧٨، ٢٨١. ابن تغري بردي: النجوم، ج١١، ص٣٠٦- ٣٠٩

[١٣٦] ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ٣٩٤. الصيرفي: المصدر السابق، ص٢٩٥. ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص٤٣١.

[١٣٧] ابن حجر: المصدر السابق، ج١، ص٤٧٠

[١٣٨] ابن تغري بردي، نفسه ا، ج١٢، ص٢٧. الصيرفي: نزهة النفوس، ص٣٣٢

من القلعة، وسار إلى الوطاق بالريدانية خارج القاهرة، وتلاحقت الأمراء والعساكر وأرباب الدولة به."[١٣٩]ودخل السلطان دمشق، وقابله يلبغا الناصري، ونودى في دمشق بالأمان". [١٤٠]

كما واجه السلطان فرج بن برقوق(٨٠١- ٨٠٨هـ/ ١٣٩٩- ١٤٠٥م) ثورة الأمراء نوروز وجكم و سودون، وكان للعلماء وعلى رأسهم السراج البلقيني دورُ في مواجهتها، فقد خرج جكم إلى بركة الحبش" وجمع العسكر حوله، وذلك سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، ورفض عرض السلطان بتعيينه نائباً على صفد فأرسل السلطان الناصر فرج، الأمير نوروز الحافظي والقاضي ناصر الدين محمد بن الصالحي، وناصر الدين الرماح أمير أخور، بصبحة شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني والقضاة الأربعة، لمحاولة الصلح بينهم، فنجحوا في إيقاف القتال بين الأمراء، وفي ٨٠٤هـ/١٤٠١م، طلب السلطان من الخليفة وشيخ الإسلام والقضاة الأربعة بان يتوجهوا إلى بيوت الأمراء المتحاربين لتحليفهم على السمع والطاعة له وعدم إثارة الفتن.[١٤١]

وهكذا يتضح مما سبق دور شيخ الإسلام البلقيني أثناء حركات التمرد والعصيان التي قام بها الأمراء، واعتماد السلطان عليه في محاولات التهدئة، وحرصه على استقرار الأوضاع في الدولة.

-حضور البلقيني مراسم تولي الخلفاء والسلاطين:

تتضح ملامح العلاقة بين العلماء وسلاطين المماليك في عدد من المظاهر، ومنها مشاركة العلماء في مراسم تولية سلطان جديد، أو عزله وتنصيب غيره، ولا يتم ذلك إلا بحضور القضاة والخليفة، ومنها حضور العلماء والفقهاء تولي خليفة جديد في منصب الخلافة، وقد شارك البلقيني القضاة والأعيان والأمراء مراسم تنصيب الخليفة المستعصم بالله الخلافة في القاهرة سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م حيث تم ذلك بحضور السلطان الظاهر برقوق، والقضاة الأربعة، وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، ومفتي دار العدل الشيخ صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوي، يقول المقريزي:" طلع الْخَلِيفَة زَكَرِيًّا إِلَى الْقصر من قلعة الْجَبَل، وَحضر أَعْيَان الْأُمَرَاء وقضاة الْقُضَاة الْأَرْبَع، وشيخ الْإِسْلَام سراج الدّين البُلْقِينِيّ، وَصدر الدّين مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الْمَنَاوِيّ مفتي دَار الْعدْل – وَبدر الدّين مُحَمَّد بن فضل الله كَاتب السِّرّ، وَنجم الدّين مُحَمَّد الطنْبَدي – وَكيل بَيت المَال – فَبَدَأَ شيخ

---

[١٣٩] المقريزي: المصدر السابق، ج٥، ص ٣٠٩. الصيرفي: المصدر السابق، ص٣٣٤

[١٤٠] المقريزي: نفسه، ج٥،ص٣١١. ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص٤٧٥، ٤٧٦. ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص٤٤٧، ٤٤٨.

[١٤١] المقريزي: نفسه، ج ٦، ص٧٦. ابن إياس: نفسه، ج١، قسم٢، ص٦٥٠، ٦٥١

الْإِسْلَام بالْكلَام مَعَ السُّلْطَان فِي مبايعة زَكَرِيَّا على الْخلَافَة، فَبَايعهُ السُّلْطَان أَولاً، ثمَّ بَايعه من حضر على مَرَاتِبهمْ".(١٤٢)

وعندما انتهت مراسم التنصيب وفوض الخليفة للسلطان الظاهر برقوق "أمور البلاد والعباد والسلطات الدينية والدنيوية، نزل في موكب عظيم يتقدمه القضاة الأربعة وشيخ الإسلام وأرباب الوظائف حتى أوصلوه إلى منزله".(١٤٣)

مشاركة البلقيني في تولي الظاهر برقوق السلطنة:

توفي الملك المنصور علي(٧٧٨- ٧٨٣هـ/ ١٣٧٧-١٣٨١م) متأثراً بمرض الطاعون سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م(١٤٤)، ونُصِّب أخوه صلاح الدين أمير حاج سلطانًا(٧٩٠ - ٧٩٢هـ /١٣٨٨-١٣٩٠م) ، فتلقب بالملك الصالح حاجي، وعمره لا يتجاوز أحد عشر عامًا(١٤٥)، فكان آخر سلاطين المماليك البحرية بمصر والشام من أبناء قلاوون، وانفرد الأتابك برقوق بتصريف الأمور بعد أن تخلص من شركائه في الحكم وأكثر خصومه(١٤٦). وخُلِعَ الملك الصالح من السلطنة، فكانت مُدَّة سلطنته سنة واحدة وسبعة أشهر، على أنَه لم يكن له في السلطنة من الأمر والنهي، واستضعفه الأمراء لصغر سنه.(١٤٧)

"جمع الْأَمِير الْكَبِير برقوق الْأُمَرَاء والقضاة ومشايخ الْعلم وَأهل الدولة والخليفة إِلَى عِنْده بالحراقة من الإصطبل، وعرفهم أَن الْأُمُور مضطربة لصِغَر سنّ السُّلْطَان وَقلة حرمته، وَأَن الْوَقْت مُحْتَاج إِلَى ملك عَاقل يستبد بأحوال الدولة، وَيقوم بِأُمُور النَّاس وينهض بأعباء الحروب وَالتَّدْبِير وَنَحْو ذَلِك. فاتفقوا جَمِيعهم مَعَه على خلع الْملك الصَّالح حاجي"(١٤٨)

وفي ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، قلد الخليفة المتوكل على الله مقاليد البلاد للأمير برقوق، وشهد بذلك القضاة الأربعة وشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى. وخطب الخليفة المتوكل على الله خطبة بليغة، ثم بايعه

---

(١٤٢)المقريزي: السلوك، ج ٥، ص١٩٠. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ج١١، ص ٢٤٥. الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص١٤٣

(١٤٣) المقريزي: المصدر السابق، ج ٥، ص١٩٠. ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج١١، ص٢٠٢. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٧٧-٣٧٨

(١٤٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص٢٣٢

(١٤٥) ابن تغري بردي: نفسه، ج١١، ص١٦٨. ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص٢٨٧

(١٤٦) ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص١٥٣- ١٥٥

(١٤٧) المقريزي: المصدر السابق،ج ٥، ص١٤٠. ابن تغري بردي: المصدر السابق ، ج١١،ص ١٨٦. الصيرفي: نزهة النفوس، ص٣٦

(١٤٨) المقريزي: المصدر السابق، ج ٥، ص١٤٠. ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص٢٥٧. ابن إياس: المصدر السابق ، ج١، قسم٢، ص٣١٠

على السلطنة وقلّده أمور المملكة ثم بايعه من بعده القضاة والأمراء. وتسلم برقوق السلطنة في وقت الظّهر من يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م.[١٤٩]

وقد بلغت مكانة شيخ الإسلام البلقيني، ومشاركته في شؤون السلاطين والأمراء، أن اختار لقب "الظاهر" للسلطان برقوق،" وَأَشَارَ شيخ الْإِسْلَام سراج الدّين عمر البُلْقِينِيّ أَن يلقب السُّلْطَان بِالْملكِ الظَّاهِر، وقد نزل السلطان على رأي الشيخ البلقيني، وتلقب بالظاهر برقوق، وَقَالَ: هَذَا وَقت الظّهْر وَالظّهْر مَأْخُوذ من الظهيرة والظهور، وَقد ظهر هَذَا الْأَمر بعد أَن كَانَ خافيا فتلقب بِالْملكِ الظاهر".[١٥٠]

ويتضح من النص ما تمتع به البلقيني من مكانة كبيرة، وكلمة نافذة لدى السلطان برقوق، واستماع برقوق لنصحه والعمل به.

حضور البلقيني تولية فرج بن برقوق السلطنة:

عندما اشتد المرض بالظاهر برقوق ، طلب حضور الشيخ البلقيني، والقضاة الأربعة وعدد من الأمراء ، وطلب منهم تولية العهد لأبنائه من بعده، على أن يخلفه ابنه الأكبر فرج ، ثم باقي أبنائه عبد العزيز وإبراهيم [١٥١].كما شارك شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني ، القضاة الأربعة، والخليفة المتوكل على الله، في مراسم تقليد الناصر فرج في عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م ، يذكر المقريزي: "اجْتمع بالقلعة الْأَمِير الْكَبِير أيتمش، وَسَائِر الْأُمَرَاء وأرباب الدولة، واستدعى الْخَلِيفَة، وقضاة الْقُضَاة، وَشَيخ الْإِسْلَام البلقيني –وَمن عَادَته الْحُضُور– فَلَمَّا تكاملوا بالإصطبل السلطاني، أحضر فرج بن الْملك الظَّاهِر برقوق، وخطب الْخَلِيفَة".[١٥٢]

كذلك شارك البلقيني عدد من الفقهاء والقضاة والأمراء، الحضور إلى مجلس والي القاهرة الأمير أيتمش، لتقسيم ممتلكات السلطان الظاهر برقوق،" فحضر الجميع عند الأمير الكبير بالإسطبل، وقد حضر الأمراء والخاصكيّة [١٥٣]بسبب الأموال التى خلّفها السلطان الملك الظاهر برقوق، هل

---

[١٤٩] ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ٢٥٧. الصيرفي: نزهة النفوس، ص٣٨. ابن إياس: نفسه، ج١، قسم٢، ص٣١٠

[١٥٠]المقريزي: السلوك، ج٥، ص١٤١– ١٤٢. الصيرفي: نفسه، ص٣٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص٣١٨

[١٥١] ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص٥٢٤، ٥٢٥

[١٥٢]المقريزي: المصدر السابق ٤٤٨/٥

[١٥٣] خاصكية: مفرد خاصكي، وهو لفظ فارسي ومعناه نديم السلطان، وهم فئة يختارهم السلطان من الأجلاب، مهمتهم حراسة السلطان في قصره ومجالسه. مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص١٥٧

تقسّم فى ورثته؟ أو يكون ذلك فى بيت مال المسلمين؟ فوقع كلام كثير آخره أن تفرّق فى ورثته من السدس، وما بقى فلبيت المال".[١٥٤]

ولما توفي برقوق نفذ مجلس الوصاية ما أوصى به الظاهر برقوق، فولّوا ابنه الأكبر فرج السلطنة، ولقبوه بالملك الناصر، وقد تميّز عهد فرج (٨٠١ – ٨٠٨ هـ/١٣٩٩ – ١٤٠٠م) بالتنافس بين أمراء المماليك في القاهرة، وفي ٨٠٢هـ/١٣٩٩م اتخذ فرج خطوة للتخلص من سيطرة الأمير أيتمش، وطلب منه عقد مجلس لإعلان بلوغه سن الرشد وتسلمه أمور الحكم.[١٥٥]

توسط البلقيني للصلح بين ولاة الأمر :

لم يتوقف دور البلقيني على حضور تولية الخلفاء والسلاطين، ولكن قام بدور مهم في الوساطة والتدخل لمنع توقيع العقوبات على بعض العلماء، ومنهم جار الله إبراهيم الحلواني، الذي سجن ومُنع من الإقراء بالجامع الأزهر، لتعريضه بالمذهب الحنفي لصالح الشافعية[١٥٦]، فسعى الشيخ البلقيني في الإفراج عنه، ثم عودته للتدريس في الجامع الأزهر وذلك عام ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م[١٥٧].

كما سعى البلقيني في الصلح بين السلطان والأمراء، وبين الأمراء أنفسهم، أو بين السلطان والخليفة، ومن ذلك ما حدث عام ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م، فقد حضر الشيخ عمر البلقيني صلحاً تم بين السلطان الظاهر برقوق وبين الخليفة العباسي المتوكل على الله، بسبب الوشاية التي حدثت بينهما، بأن الخليفة يريد التخلص من الظاهر برقوق، و تنصيب نفسه سلطاناً، ونجح في تهدئة الأحوال بينهما[١٥٨]، يذكر المقريزي: "استدعى السُّلْطَان شيخ الْإِسْلَام سراج الدّين عمر البُلْقِينِيّ إِلَى مَسْجِد رُديني دَاخل القلعة، واستدعى الْخَلِيفَة المتَوَكل على الله فَقَامَ إِلَيْهِ وتلقاه وَأخذ فِي ملاطفته والاعتذار إِلَيْهِ وتحالفا[١٥٩]. وَمضى الْخَلِيفَة إِلَى مَوْضِعه فَبعث إِلَيْهِ السُّلْطَان عشرَة آلَاف دِرْهَم، وعدة بقج فِيهَا صوف وَثِيَاب سكندرية وفرو لتتمة الْقيمَة عَن الْجَمِيع ألف دِينَار. فَبعث الْخَلِيفَة بِجُزْء وافر من ذَلِك إِلَى شيخ الْإِسْلَام وَإِلَى وَالِي القلعة". [١٦٠]

---

[١٥٤] ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٥٣.ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٧٨. ابن إياس: المصدر السابق ، ج١، قسم٢، ص٥٤٤، ٥٤٥

[١٥٥] المقريزي: السلوك، ج ٦، ص٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص٥٥٧

[١٥٦] ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص١٩٥

[١٥٧] ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج١، ص١٩٥

[١٥٨] ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص٣٣٢

[١٥٩] المقريزي: السلوك، ج ٥، ص ٢١٨. الصيرفي: نزهة النفوس، ص١٨٩

[١٦٠] المقريزي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١٨. ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م) : تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، مطبعة الأمير كانيه، بيروت، لبنان، ١٩٣٦م، ج ٩ ، ق١، ص٥٧. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢

وقد أراد الظاهر برقوق أخذ فتوى من القضاة الأربعة بقتل الخليفة المتوكل على الله، إلا أنهم رفضوا ذلك، لعدم ثبوت إدانة الخليفة، فأمر السلطان بتقييد الخليفة وحبسه في سجن البرج بالقلعة[١٦١]، ثم أمر بخلعه وتولية عمر بن الخليفة المستعصم بالله، ولُقب بالواثق بالله.[١٦٢]

كما توسط البلقيني في الصلح بين يلبغا السالمي ناظر "خانقاة سعيد السعداء"[١٦٣] ،المخصصة للصوفية، والعبادي وهو أحد فقهاء الصوفية، وذلك عام ٧٩٧هـ/١٣٩٤م، وقد وجد السالمي شرط الواقف على الخانقاة، أن يكون الصوفية بها من أهل السلوك، فإن تعذر وجودهم كانت وقفاً على الفقراء والمساكين، ولذلك أوقف يلبغا السالمي المعونات عن عدد من فقهاء الصوفية، ممن يعرف عنهم عدم الحاجة، ومنهم العبادي الذي ازداد في التعدي على السالمي، ووصفه بالكفر[١٦٤]. ولذلك عُقد مجلسٌ في الخانقاة، حضره البلقيني، والقضاة، والصوفية من نزلائها، وقرأ السالمي عليهم كتاب الوقف، وسأل الحضور عن حكم العمل بشرط الواقف، وطال النزاع بينه وبين فقهاء الصوفية المعارضين له، ولما سأل يلبغا عن حكم القضاة، أجابه البلقيني والفقهاء، أنه "يجب أن يتبع شرط الواقف"[١٦٥]. وقد سعي البلقيني لعقد مجلس للصلح بين العبادي والسالمي ودعى " الْقُضَاة فَأتوا إِلَى السالمي وحضروا إِصْلَاح شيخ الْإِسْلَام البلقيني بَينهمَا."[١٦٦]

مكانة البلقيني وقربه من الظاهر برقوق:

ومن مظاهر علاقة سلاطين المماليك بالعلماء حرصهم على حضورهم مجالسهم، ومرافقتهم في الحل والترحال لأهل العلم ذوي الدين، والاستماع لأقوالهم، والعمل علي إقامة العدل بين الناس، والعمل لصالح الرعية، والدفاع عن الدين وصد الأعداء. وقد حظي البلقيني باهتمام كبير من الظاهر برقوق، وذلك قبل توليه السلطنة، إلا أنه عام ٧٨١هـ/١٣٧٩م، حدثت وحشة بينها، بسبب موقف الشيخ البلقيني من طلب الأمير برقوق باستبدال الوقف، لكن هذه الوحشة لم تطل، فقد

---

[١٦١] الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٧١. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص٣٣٣

[١٦٢] الصيرفي: المصدر السابق، ج١، ص٧٢ ابن إياس: نفسه، ج١، قسم٢، ص٣٣٣

[١٦٣] خانقاه سعيد السعداء: هي دار سعيد السعداء خادم الخليفة الفاطمي المستنصر، وصارت سكن الوزير طلائع بن رزيك، وولده رزيك بن طلائع الذي صار إليه الوزارة، ثم سكنها شاور ثم ولده الكامل. وفي عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي وقفها على الفقراء القاطنين والمترددين من الصوفية. المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٨٢. السيوط: حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٥٦

[١٦٤] المقريزي: المصدر السابق، ج ٥، ص٣٧٢. ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص٤٩٢، ٤٩٣. ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص٣٣٣.

[١٦٥] المقريزي: نفسه، ج٥، ص٣٧٢. ابن حجر: نفسه، ص٤٩٣. الصيرفي: نزهة النفوس، ص٤٠٧

[١٦٦] المقريزي: نفسه، ج ٥، ص٣٧٢

حرص برقوق على إزالة الخلاف وذهب لزيارته، "ونزل له عن وقف السيفي بالقبة المنصورية، عوضاً عن تدريس الشافعي، وأركبه بغلة رائعة بقماش فاخر".[١٦٧]

وقد استمع الظاهر برقوق لنصائح الشيخ البُلقيني، وكانت آرائه موضع التنفيذ، ومن ذلك ما حدث سنة ٧٨٩هـ ، وفي ليلة الاحتفال بالمولد النبوي "عزم السُّلْطَان على عرض أجناد الْحلقَة [١٦٨]وَشرع فِيهِ، فَتحدث مَعَه شيخ الْإِسْلَام سراج الدّين عمر الْبُلْقِينِيّ فِي إعفائهم من ذَلِك فَأَجَابَهُ وَعَفا عَنْهُم".[١٦٩] وهكذا عفى السلطان برقوق عن أجناد الحلقة بشفاعة الشيخ البلُقيني.

-حضور البلقيني الاحتفالات مع السلطان:

ومن صور العلاقة الوطيدة بين السلاطين والعلماء مشاركة العلماء في المواكب والاحتفالات الرسمية، إذ يعد حضور العلماء ومشاركتهم في المواكب والاحتفالات الرسمية من علامات رضا العلماء عن السلاطين وموافقتهم لهم ،وفي ذات الوقت يعد ذلك أيضاً تقديراً للعلماء وإظهاراً لمكانتهم، وقد وصف المؤرخ القلقشندى أحد مواكب السلطان وذلك عند جلوسه بدار العدل حيث قال "ويكون جلوسه على الكرسي الذي هو موضوع تحت سرير الملك .....ويجلس على يمينه قاضي القضاة من المذاهب الأربعة، ثم وكيل بيت المال، ثم الناظر في الحسبة. ويجلس على يساره كاتب السر، وقدامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين تكملة حلقة دائرة. قال: وإن كان الوزير من أرباب الأقلام، كان بينه وبين كاتب السر، وإن كان من أرباب السيوف، كان واقفاً على بعد مع بقية أرباب الوظائف[١٧٠]

ونلاحظ من العرض الذي ذكره القلقشندى لجلوس السلاطين بدار العدل مكانة العلماء وقربهم من السلطان وأن الوزير أو النائب يضم إلى حلقة العلماء والقضاة إذا كان صاحب علم ويجلس معهم. أما إذا كان غير ذلك فإنه يقف بجانب أرباب الدولة.

وقد شارك البلقيني مع العلماء، حضور المناسبات الدينية ، ومنها المولد النبوي، ومن ذلك سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م:" عمل السُّلْطَان المولد النَّبَوِيّ على عَادَته فِي كل سنة، وَحضر شيخ الْإِسْلَام

---

[١٦٧] المقريزي: نفسه، ج ٥، ص٦٥

[١٦٨]أجناد الحلقة: هم محترفو الجندية من أولاد المماليك وعرفوا أيضاً باسم "أولاد الناس"، وهم الفئة النظامية في الجيش ولا يتغيرون بتغير السلطان الحاكم ويشكلون قلب الجيش، ولكل مائة منهم نقيب أو باش ولكل أربعين مقدم، وتصرف مرتباتهم من ديوان الجند، ولكل منهم إقطاع يقال له خبز، ونظيرهم في أيام الخلفاء أهل العطاء وأهل الديوان. المقريزي: السلوك، ج٥، ص١٩٨.ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص٣٤٧

[١٦٩] المقريزي: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٩٨. الصيرفي: نزهة النفوس، ص١٥٢

[١٧٠] القلقشندي(أبو العباس أحمد القلقشندي ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، ١٣٤٠ – ١٩٢٢ ، ج٤ ،ص٤– ٤٥

سراج الدّين عمر البُلْقِينِيّ، وَالشَّيْخ إِبْرَاهِيم بن رقاعة، وقضاة الْقُضَاة ، وعدة من شُيُوخ الْعلم فِي الحوش من القلعة تَحت خيمة ضربت هُنَاكَ. وَجلسَ السُّلْطَان وَعَن يَمِينه البُلْقِينِيّ"[١٧١].

ونلاحظ من النص السابق، المكانة الكبيرة التي تمتع بها البلقيني، ومدى قربه من السلطان.

كما كانت مشاركة العلماء في المواكب التي كانت تخرج لتلقي السلطان عند عودته من المعارك، أو عند قدومه من بلاد الشام، أو عند عودته للقاهرة بعد أداء فريضة الحج. ومن الأمثلة على ذلك خروج الخليفة المتوكل على الله، وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، والعلماء والأمراء ورجال الدولة، لاستقبال السلطان الظاهر برقوق سنة ٧٩٢هـ / ١٣٨٩ عندما تمكن من الخروج من منفاه بالكرك واستطاع التخلص من خصومه والعودة مرة أخرى للسلطنة.[١٧٢]

- دعوة البلقيني عامة المصريين للجهاد ضد المغول:

في عام ٨٠٣هـ /١٤٠٠م تعرضت مصر لخطر المغول، الذين أشاعوا الفزع والرعب في الشام وصاروا قريبين من مصر، وقد تصدر العلماء والفقهاء في مصر لتوعية الناس بما يجب عليهم وبيان أهمية الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن دين الله، والتصدي لخطر المغول. ولذلك خرج البلقيني وعدد من العلماء والأمراء، لتوجيه الدعوة، لعامة المصريين بضرورة الاستعداد لمواجهة المغول، يقول المقريزي: "ركب شيخ الْإِسْلَام سراج الدّين عمر البُلْقِينِيّ وقضاة الْقُضَاة والأمير أقباي حَاجِب الْحجاب والأمير مبارك شاه الْحَاجِب. وَنُودِيَ بَين أَيْديهم بِالْقَاهِرَةِ من ورقة تَتَضَمَّن أَمر النَّاس بِالْجِهَادِ فِي سَبِيل الله لعدوكم الْأَكْبَر تمرلنك، فَإِنَّهُ أَخذ الْبِلَاد وَوصل إِلَى حلب وَقتل الْأَطْفَال على صُدُور الْأُمَّهَات، وأخرب الدّور والمساجد والجوامع، وَجعلهَا إسطبلات للدواب، وَهُوَ قاصدكم يخرب بِلَادكُمْ، وَيقتل رجالكم وأطفالكم وَيَسْبِي حريمكم، فَاشْتَدَّ جزع النَّاس وَكثر صراخهم وَعظم عويلهم وَكَانَ يَوْمًا شَدِيدا". [١٧٣]

وقد حرص سلاطين المماليك على خروج العلماء والقضاة مع الجيوش المحاربة، وذلك حتى يضفوا الصبغة الشرعية على فرق الجيش؛ ليؤكدوا للمقاتلين والناس عامة مشروعية هذه الحرب، التي يخوضها السلطان كما يعد وجود العلماء في الجيش دافعاً لتشجيع الجنود وتحفيزهم على الجهاد. ولذلك عندما وصل تيمورلنك إلى حلب، وحماة، وخرج السلطان الناصر فرج بجيشه نحو بلاد

---

[١٧١] المقريزي: المصدر السابق، ج ٥، ص٤٠٩. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٢١. ابن تغري بردي النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٩٨

[١٧٢] المقريزي: السلوك، ج ٥، ص ٢٧٨، ٢٨١. ابن تغري بردي: النجوم، ج١١، ص٣٠٦- ٣٠٩. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣١

[١٧٣] المقريزي: المصدر السابق، ج ٦، ص٤٤. ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج١٢، ص٢٢٨، ٢٢٩. ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص٦٠١

الشام، ولما وصل دمشق، [١٧٤]، أرسل في طلب شيخ الإسلام البلقيني وعدد من الأمراء والأعيان،" وقدم الْبَرِيد من السُّلْطَان فاستدعي الْأَمِير تمراز، وشيخ الْإِسْلَام البُلْقِينِيّ، وَولده جلال الدّين عبد الرَّحْمَن قَاضِي الْعَسْكَر، وَمن تَأَخّر بِالْقَاهِرَةِ من الْأَعْيَان، وَقُرِئَ عَلَيْهِم كتاب السُّلْطَان"[١٧٥]

وقد عاد السلطان فرج إلى القاهرة لخوفه من مؤامرة بعض الأمراء الذين انسحبوا من الجيش، عائدين إلى القاهرة، مصطحبين معهم عدداً من المماليك، وتمكن السلطان من السيطرة على المتآمرين، وإيقاف الحروب بين الأمراء، وتهدئة الأوضاع في القاهرة[١٧٦]، وذلك بمعاونة الخليفة وشيخ الإسلام البُلقيني، والقضاة، "وبعث السُّلْطَان بالخليفة المتَوَكل على الله، وقضاة الْقُضَاة الْأَرْبَع، إِلَى الْأَمِير الْكَبِير نوروز فِي طلب الصُّلْح، فَلم يجد بدا من ذَلِك وَترك الْقِتَال". وقد قام شيخ الإسلام البلقيني بدور مهم في عقد الصلح بين الأمراء وإخماد الفتنة، يقول المقريزي: "وركب الْخَلِيفَة وَشَيخ الْإِسْلَام البُلْقِينِيّ، وحلفوا الْأُمَرَاء بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَة للسُّلْطَان، وإخماد الْفِتْنَة". [١٧٧]

---

[١٧٤] ابن إياس: نفسه، ج١، قسم٢، ص٥٩٧، ٥٩٩

[١٧٥] المقريزي: المصدر السابق، ج ٦، ص٤٨. ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج١٢، ص٢٣٥

[١٧٦] ابن تغري بردي: نفسه، ج١٢، ص٢٣٥- ٢٣٩

[١٧٧] المقريزي: السلوك، ج٦، ص ٧٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٨٥. ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ق٢، ص٧٧٩-٧٨٠

المبحث الثالث: الدور الاجتماعي لشيخ الإسلام البلقيني

- أبرز مظاهر الفساد المذهبي والاجتماعي في مصر:

انتشرت بعض مظاهر الفساد داخل المجتمع المصري في القرنين الثامن والتاسع، ومن هذه المظاهر ما تضمن معتقدات فاسدة، بعيدة عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، مثل الزندقة، وانتشار الرشاوي والبرطلة، ونستعرض فيما يلي عدداً من المظاهر الاجتماعية الفاسدة ودور شيخ الإسلام البلقيني في مواجهتها:

أولاً الزندقة و موقف البلقيني منها:

عانى المصريون في عصر المماليك من الأزمات الطبيعية والاقتصادية، مما جعل منهم بيئة خصبة للخرافات والأباطيل والانحراف عن الدين. [١٧٨]وقد ظهرت الزندقة في العصر المملوكي متخذة صوراً متنوعة،[١٧٩]وقد حارب معظم سلاطين المماليك الزندقة، وضربوا على أيديهم والقضاء عليهم، كذلك تصدت طائفة من الفقهاء لهؤلاء الزنادقة عن طريق المناظرات العلمية العلنية، لتفنيد آرائهم، وإظهار فساد عقيدتهم، وكان البلقيني أحد العلماء الذين واجهوا الزنادقة وفند مزاعمهم الباطلة، ولم يأل جهداً في محاربتهم.[١٨٠]

ومن ذلك ما حدث سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م حيث دار نقاش بين الشيخ سراج الدين البلقيني، والشيخ بدر الدين بن الصاحب (ت ٧٨٨ هـ/١٣٨٦م) في مدرسة الخشابية بجامع عمرو بن العاص، وتكلم بدرالدين بن الصاحب بما لا يليق بأهل العلم وصرح بالاتحاد ، ووقعت لابن الصاحب محنة مع الشيخ سراج الدين البُلقيني، الذي اتهمه بالكفر[١٨١].

فعلى الرغم من كون ابن الصاحب أحد العلماء البارزين، فهو من كبار رجالات عصره قوي في مناقشاته "تفقه ومهر في العلم ، ونظم ونثر وفاق أهل عصره في ذلك، حاد النادرة سريع البادرة، يُهاب جانبه ويرعاه عدوه وصاحبه، كثير النوادر، له العديد من المؤلفات الأدبية"[١٨٢]، فقد كان

---

[١٧٨] صائب عبد الحميد: ابن تيمية حياته، عقائده، بيروت، ١٩٩٥، ص١٩، ٢٠

[١٨٠] سامية علي مصلحي: الزندقة في مصر والشام في العصر المملوكي(٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)،مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، عدد ١٥، ج١، يناير، ٢٠٠٦م، ص٩٨- ٩٩

[١٨١] ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص٢٦٢

[١٨٢] ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص٣٢٤

شديد التعصب لابن عربي[١٨٣]، وأظهر ابن الصاحب التلاعب بالدين واستخف بالشرع ، وصرح بمعقداته الفاسدة، وأعلن رأيه في مناظرة علنية مع البلقيني وصرح بالاتحاد، مما دفع البلقيني بإطلاق الكفر عليه.[١٨٤]

وقد رفع جماعة من العلماء في شأن ابن الصاحب وآرائه الفاسدة، "وادعوا عليه عند المالكي فسعى له آخرون عند أكمل الدين، حتى نقل القضية إلى القاضي الشافعي، وأقام مدة في الترسيم حتى حكم بحقن دمه، واستمر في وظائفه وعاش بعدها مدة". [١٨٥]

وقد تصدى البلقيني بكل قوة لابن الصاحب، وأعلن رأيه أمام الجميع "وجهر بصوته بين القصرين، وابن الصاحب مع الرسل الموكلين به سائر مع البُلقيني، وهو يقول: يا معشر المسلمين! هذا كفر، فيقول ابن الصاحب: يا معشر المسلمين هذا فشر! فلما رأى الشيخ ذلك عدل إلى قوله: يا معشر المسلمين! هذا قال: إن نبيكم ما هو مدفون بالمدينة، وكان البحث بينهما في شيء من ذلك"[١٨٦]

وبالرغم من آراء ابن الصاحب الباطلة، إلا أنه لاقي تأييد من البعض والتحيّز له، ومن هؤلاء الفاضل محمد النحاس المصري فقال فيه:

لبدر الدين بين الناس فضل فمذهبه الصحيح بلا اعوجاج

فأشرق في سماء العلم بدرا فأطفأ نوره نور السراج[١٨٧]

ومن ذلك –أيضاً– ما وقع من الشيخ مصطفى القرماني الحلبي، وكان فقيهاً على المذهب الحنفي[١٨٨]، وأثناء إلقائه الدرس بالمدرسة الفخارية، وقع في خطأ في حق سيدنا إبراهيم الخليل

---

[١٨٣] ابن عربي: هو محمد بن علي بن محمد بن عربي الأندلسي أحد فلاسفة التصوف الكبار طاف بلاد الإسلام وأقام بمكة وصنف بها كتابه المسمى بالفتوحات المكية في نحو عشرين مجلدا وله كتاب فصوص الحكم". ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٠ – ١٩٩٠، ج٩، ص ١٠٢

[١٨٤] ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص٢٦٢. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص٣٢٤. الصيرفي: نزهة النفوس، ص٥٢

[١٨٥] المقريزي: السلوك، ج ٥، ص١٤٤. الصيرفي: المصدر السابق، ص٥٢. ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص٣٢٤

[١٨٦] المقريزي: المصدر السابق، ج ٥، ص١٤٤. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص٢٦٢

[١٨٧] ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص٢٦٢. الدرر الكامنة، ج ١، ص ٢٤٨ – ٢٥٠. العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٠١. حاجي خليفة: كشف الظنون، ص ٤٧٨، ١٧٩٠. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ – ١٩٩٣، ج ٢، ص ٧٧

[١٨٨] درس القرماني الفقه على المذهب الحنفي في عدة مدارس بالقاهرة، منها المدرسة الصرغمتشية، ومدرسة إلجاي. السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٦٠

عليه السلام" وقال: لا يبول أحد إلى الشمس والقمر[١٨٩]، لأنهما عُبدا من دون الله، ونسب إلى نبي الله إبراهيم أنه عبدهما، "[١٩٠] فكفره الشيخ شرف الدين يعقوب بن الشيخ جلال الدين التباني، وبالغ في التشنيع عليه وشكاه للسلطان برقوق، فعقد له مجلسا في عام ٧٩٧هـ/١٣٩٦م بحضور السلطان والأمراء وقضاة القضاة الأربعة، وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، والفقهاء والعلماء، وأراد القاضي المالكي أن يضرب عنقه، فتعصب له جماعة من الأمراء، واهتموا بأمره وطلبوا من السلطان أن يكون الحكم فيه للقاضي الحنفي، فوافق السلطان فقام القاضي وعزره بالحبس والضرب، ثم أطلقه لحال سبيله بعد أن حكم بإسلامه.[١٩١]

وإذا وقع بعض العلماء والفقهاء والمنتسبين إلى العلم في الزندقة، فلم يكن بعض العامة بعيدين عنها، وظهر منهم الاستخفاف بالدين وشعائره. ومن ذلك ما يُعرف بـ" حادثة برما " [١٩٢]واتفق أن جماعة من مسالمة قرية برما عملوا عرساً ، واجتمع عندهم عدد كبير، وأقاموا المغاني والملاهي، وما صاحبهما من شرب خمر، وعندما صعد المؤذن ليسبح الله في الليل كالعادة، سبوه وأهانوه[١٩٣]، ثم أنزلوه من المنارة بعد أن ضربوه، فثار خطيب الجامع ليخلصه منهم، فأوسعوه سباً ولعناً وهموا بقتله [١٩٤]. فقدم الخطيب والمؤذن ومعهما جمع من أهل البلد إلى القاهرة، ليشكوا أمرهم إلى النائب الأمير سودون الفخري الشيخوني، فأرسلهم النائب إلى الأمير جركس الخليلي، لأن ناحية برما من جملة إقطاعه. فلما شكوا إليه ما حل بهم لم يلتفت إليهم، بل وانتصر للمسالمة، وأمر بحبس الذين قدموا للشكوى[١٩٥]. فمضى عدد ممن بقي منهم إلى الأعيان والعلماء ومنهم البلقيني[١٩٦]، فلما بلغ السلطان (الظاهر برقوق ٧٨٤-٨٠١هـ/ ١٣٨٢-١٣٩٩م) خبرهم، غضب على الأمير الخليلي

---

[١٨٩] والمقصود أنه لايتوجه نحو الشمس أو القمر عند البول

[١٩٠]ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج١، ص٢٣٩. ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص٤٨٨الصيرفي: نزهة النفوس، ص٤٠١. سامية علي مصيلحي: الزندقة في مصر، ص١٠٩- ١١٠

[١٩١] المقريزي: السلوك، ج٥، ص٣٦٨. ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج١، ص٢٣٩. الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٤٠١.

[١٩٢] برما: أو "برمة" وهي بلدة صغيرة ذات أسواق، في كورة الغربية بدلتا مصر. انظر ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان ،١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م، ج١، ص ٤٠٣

[١٩٣] ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص٢٧٣. الصيرفي: نزهة النفوس، ص٦٧

[١٩٤] ابن حجر العسقلاني: نفسه، ج١، ص٢٧٣.ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص٣٣٠

[١٩٥] المقريزي: المصدر السابق ، ج ٣ ، قسم ٢ ، ص ٤٩٢ .ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص٢٧٣. الصيرفي : نزهة النفوس، ج١، ص٦٨. سامية علي مصيلحي: الزندقة في مصر، ص ١١٥- ١١٦

[١٩٦] ابن قاضي شهبة : تاريخه، ص١٠٨. ابن إياس: نفسه، ج١، قسم٢، ص٣٣٠

وأمره بالإفراج عنهم[١٩٧]، وأرسل الأمير ايدكار الحاجب للتحقيق فيما جرى في برما، "فتبين له قبح سيرة المسالمة، فحملهم معه إلى السلطان"[١٩٨].وأمر السلطان أن يحاكموا عند قاضي المالكية، "فادعى عليهم بقوادح وأقيمت البينات بها"، فحكم بضرب أعناقهم على الزندقة، فضربت بحضور القضاة، والسراج البلقيني في المجلس، وغسلوا وكفنوا ودفنوا بمقابر المسلمين.[١٩٩]

و في عام ٧٩١هـ/١٣٨٩م اتهم بالزندقة ابن سبع شيخ العرب بزفتى [٢٠٠].ونسب إليه أشياء تنافي الشريعة، وشهدت جماعة عليه بذلك عند قاضي القضاة ابن خير المالكي فحكم بإراقة دمه لكفره[٢٠١]، فسعى ابن سبع بالمال حتى فوض أمره للقضاة الشافعية وقيل إنه برطل بأربعمائة ألف درهم حتى خلص، وحكم بحقن دمه، وعقد له مجلسٌ عند الأمير يلبغا الناصري بحضور الشيخ سراج الدين البلقيني، وحاول الناصري أن يظفر بحكم القضاة بقبول إسلام شيخ العرب وحقن دمه، فامتنعوا لأن ابن خير قد سبق وحكم بقتله، فأصدر يلبغا الناصري بإطلاق سراحه وحقن دمه.[٢٠٢]

أما الأمير لاجين بن عبد الله الجركسي[٢٠٣]فكان مشهورا بسوء العقيدة يتبع طريقة ابن عربي، ويناضل عنها وله أتباع في ذلك، وأشاع عن نفسه أنه سيملك الديار المصرية وأنه إذا تملكها يبطل الأوقاف التي على المساجد والجوامع، ويغير معالم الشريعة الإسلامية[٢٠٤] ، وتوعد شيخ الإسلام البلقيني بأن يكون أول من يعاقبه من فقهاء الدولة، فقدر الله موته عام ٨٠٤هـ/١٤٠١م، وكفى

---

[١٩٧]ابن قاضي شهبة : المصدر السابق، ص١٠٨. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص٢٧٣. الصيرفي : نزهة النفوس، ج١، ص٦٧

[١٩٨] المقريزي: السلوك ، ج ٣ ، قسم ٢ ، ص ٤٩٢ . ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج ٣، ص١٠٩ الصيرفي : نزهة النفوس، ج١، ص٦٧. ابن اياس: المصدر السابق، ج ١، قسم ٢، ص ٣٣٠

(٤) المقريزي : المصدر السابق ، ج ٣، ص ١٠٢

[١٩٩] المقريزي : المصدر السابق ، ص ٤٩٢. ابن قاضي شهبة : المصدر السابق، ص١٠٨ ابن الصيرفي: المصدر السابق ، ج ١، ص ٦٠ . سامية علي مصيلحي: الزندقة في مصر، ص ١١٦

[٢٠٠] زفتى من المدن المصرية القديمة ، اسمها القبطي "زيتة" والعربي "منية زفته"، وهي مدينة زفتى الواقعة على الفرع الشرقي للنيل (فرع دمياط). ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٩٧

[٢٠١] ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص٣٧٠

[٢٠٢] ابن حجر: المصدر السابق، ج٢، ص٣٧٠– ٣٧١. سامية علي مصيلحي: الزندقة في مصر، ص ١٢٠– ١٢١

[٢٠٣] كانت الجراكسة تعظمه ويعتقدون أنه سيملك الديار المصرية حسب ما كان يزعم، وسيقوم بإبطال الأوقاف وحرق كتب الفقه،ومعاقبة الفقهاء، إلا أنه مات وهو جندي في ربيع الآخر، سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م . السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٢٣٢

[٢٠٤] السخاوي: نفسه، ج٦، ص٢٣٢

المسلمين شره.[٢٠٥]ويبدو من النص مدى كراهية أصحاب المذاهب الفاسدة كالجركسي للبلقيني وعلماء الأمة المصلحين، الذين كانوا لهؤلاء المفسدين بالمرصاد.

ونختم الحديث عن الزندقة بواقعة جرت للشيخ البلقيني ، واتفق أن قاضي قضاة المالكية بمصر محمد بن يوسف الركراكي ، والذي كان مقرباً من السلطان الظاهر برقوق، وينسب لسوء الاعتقاد [٢٠٦]، وكان يقول : "إذا طلع زحل إسجد له ينفعك" ، فأراد قدح البلقيني ووسمه بالزندقة ، وحسَن للسلطان قتل الشيخ سراج الدين البلقيني، بأن يقيم عليه البينة بما يوجب الكفر، ثم يحكم بقتله ، وقدم مع السلطان في عام ٧٩٣هـ/١٣٩١م إلى دمشق وشرع يهدد فقهاءها بالقتل فقيل إنه دُس له السم في شهر رمضان من نفس العام ودفن بحمص.[٢٠٧]

مما سبق يتضح تصدي الشيخ البُلقيني للزنادقة والانحرافات عن الدين، سواء كان ذلك من العلماء أوالعامة والأمراء.

ثانياً البرطلة :

وهى إسناد بعض الوظائف الهامة في الدولة إلى غير أهلها، وقد شمل ذلك الوظائف الدينية ومنها القضاء ونظارة الأوقاف، وكذلك التدريس في مشيخات الصوفية. ويشير المقريزي إلى وجود ظاهرة البرطلة في عهد السلطان الظاهر برقوق، وأنه كان ممن مارس البرطلة مقابل تعيين بعض الموظفين في مناصبهم، وأن هذه الظاهرة باتت في عهده" وأخذت البراطيل على المناصب والولايات"[٢٠٨]. وقد أعلن الشيخ البلقيني عدم موافقته على تولي ابنه جلال الدين قضاء الشافعية، بسبب بذله مالاً لتولي هذا المنصب، "وشق ولايته على والده، ولما دخل عليه بلباس التشريف، أساء عليه، حتى تلطف به جلال الدين"، وأشار المقريزي إلى موقف البُلقيني الرافض لما أقدم عليه ابنه جلال الدين، وأنه "استمر الشيخ في قهر منه حتى مات"[٢٠٩].

كما وقع لابن الملقن (ت ٨٠٤هـ / ١٤٠١م)[٢١٠]، محنة بسبب انتشار البرطلة في مصر– تلك الفترة– وكان للبلقيني دورٌمهمٌ في تخلص ابن الملقن منها. ففي عام ٧٨٠هـ /١٣٧٨م، عزم الأمير

---

[٢٠٥]ابن حجر: انباء الغمر، ج٥، ص ٥٣، ٥٧ . السخاوي: المصدر السابق، ج٦، ص٢٣٢ . سامية علي مصيلحي: الزندقة في مصر، ص ١٢٣– ١٢٤

[٢٠٦] ابن حجر: المصدر السابق، ج٣، ص١٠٢

[٢٠٧] ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن شهبه، ج٣، ص ٤١٤

[٢٠٨] المقريزي: السلوك،ج٥، ص٤٤٢.ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص٢٢٠

[٢٠٩] ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص٦٤٧

[٢١٠] هو عمر بن على بن أحمد بن محمد بن عبد الله، سراج الدين أبو حفص الأنصاري الأندلسي التكروري المصري الشافعي، ويعرف بابن النحوي ، ولد بالقاهرة يوم الخميس في شهر ربيع الأول سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م. توفى عنه والده وهو ابن عام، فنشأ في كفالة الشيخ عيسى المغربي، وكان يقرئ الناس القرآن في جامع ابن

برقوق على تولية ابن الملقن منصب قضاء القضاة الشافعية، فعلم بعض الناس بذلك، فزور ورقة على لسان ابن الملقن، بدفع أربعة آلاف دينار إلى أحد الأمراء حتى يتم الأمر، ووصلت هذ الورقة إلى الظاهر برقوق، فجمع العلماء وسأل الشيخ ابن الملقن:" هذا خطك؟ فأنكر وصدق في إنكاره، فغضب السلطان وأهانه وسجنه، ثم خلصه الله تعالى بعد مدة يسيرة بشفاعة البلقينى وطائفة من العلماء".[٢١١]

ويذكر المقريزي:" إلى أن طلع الشيخ سراج الدين عمر البلقيني إلى الأمير برقوق، هو والشيخ المعتقد أبو عبد الله محمد الركراكي المغربي[٢١٢]، في عدة من الفقهاء، وسأله في الإفراج عن ابن الملقن، فوعده بإرساله إليه، فحلف البلقيني ثلاثة أيمان في ثلاث مرات أنه ما ينصرف إلا به، فأجابه إلى ذلك، وأمر بتسليمه إليه، فمضى به، والله الحمد." [٢١٣]

ومما سبق يتضح موقف الشيخ البلقيني الرافض للبرطلة وشراء المناصب، حتى وإن كان وقع ذلك الأمر من ابنه جلال الدين.

تصدي البلقيني لأعمال البغاء:

اعترف سلاطين المماليك بممارسة البغاء، واتخذت الدولة منه مصدراً لجمع المال، ووفرت لأهله الحماية الرسمية، نظير ما يدفعونه من ضرائب، كانت تدر دخلا كبيرا للدولة، وهذا ما لم يعهد من قبل في تاريخ الدولة الإسلامية. وبينما عارض بعض سلاطين المماليك هذه الممارسات الشاذة، والأعمال المنافية للآداب، وجد منهم من أيدها، وحرص على جمع الضرائب عليها مما ساعد على انتشارها.[٢١٤]

وقد سعى العلماء جاهدين لدى سلاطين المماليك بضرورة القضاء على هذه الظاهرة المنكرة، و سجلت المصادر التاريخية إصدار أوامر بمنع النساء الأجنبيات من العمل في هذه المهنة[٢١٥].

طولون، فتزوج بأمه، وأحسن تربيته والقيام علي تعليمه وتأديبه وتحفيظه القرآن، ومتون العلم ورحل ابن الملقن في طلب العلم والحديث إلى بلاد عديدة فرحل إلى دمشق وحماه سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٩م والحرمين الشريفين، و بيت المقدس، توفى ٨٠٤هـ / ١٤٠١م السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص١٠٠– ١٠٥

[٢١١] ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، ص١٧٣. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ٢٢٩

[٢١٢] توفي بمصر ٧٩٤هـ وقد جاوز المائة من عمره. المقريزي: السلوك، ج٥، ٣٣٠. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ١٠٣

[٢١٣] المقريزي: المصدر السابق، ج ٥ ، ص٤٩. ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢،ص ٢٢٩

[٢١٤] سامية مصلحي: البغاء في مصر في العصر المملوكي، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٣ ، ٢٠٠٥م، ص ١٠٧، ١٣١

[٢١٥] السلطان الظاهر بيبرس كان من أوائل من تصدى للبغاء المنتشر في مصر، فأصدر أوامره عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م بمنع النساء الأجنبيات من العمل في هذه المهنة، ثم كرر إصدار مثل هذا القرار مرة أخرى في عامي ٦٦٥–٦٦٧هـ / ١٢٦٦–١٢٦٨م وأمر بغلق بيوت البغاء في القاهرة ومنع النساء من العمل في هذه المهنة المقريزي: السلوك، ج٣، ق١، ص ٢١٧. ابن اباس: بدائع الزهور، ج١، قسم١، ص١٢٦. ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص ٣٢.

وقد قام شيخ الإسلام البُلقيني، وقاضي القضاة برهان الدين بن جماعة، بجهود كبيرة لإقناع السلطان الأشرف شعبان بإبطال ضمان المغاني" [٢١٦] ففي عام ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م اجتمع الشيخ سراج الدين عمر البلقيني، وقاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، بالسلطان، وعرفاه ما في ضمان المغاني من المفاسد، والقبائح، حتى تم لهم ما يريدون، وأصدر السلطان مرسومه بإبطال ضمان المغاني، وكتب بذلك مرسومين إلى الوجه القبلى والوجه البحري، بعد ما قرأ على منابر القاهرة ومصر". [٢١٧]

البلقيني ومواجهة تبرج المرأة:

أدخلت النساء في مصر في عصر المماليك ، بعض الأشكال الجديدة على ما يرتدينه من ملابس، ومنها القمصان ذات الأزرع الطويلة والواسعة [٢١٨]، وقد أصدرت الأوامر السلطانية بنهي النساء عن ذلك ، وفي سنة ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠م " نودي بالقاهرة ألا تلبس امرأة قميصاً واسعاً، ولا تزيد على تفصيل القميص من أربعة عشر ذراعا، وشدد في ذلك إلى أن رتب ناساً يقطعون هذه الأكمام"[٢١٩].وقد بالغت النساء في سعة أكمام القمصان، مبالغة كبيرة، فكانت هذه الملابس تظهر من المرأة أكثر مما تخفي، "وفحش هذا حتى تشبه عوام النساء في اللبس بنساء الملوك والأعيان."[٢٢٠]

ومن ذلك أيضاً ما كانت تضعه النساء على رؤسهن، وهو ما يعرف بـ" الشاش"، وَهُوَ "عصبَة أحدثها النِّسَاء حوالي سنة ٧٨٠هـ، صَارَت تشبه أسنمة البخت، وسمينها الشاش[٢٢١] يكون أَوله على جبين الْمَرْأَة وَآخره عِنْد ظهرهَا، ويزخرفونه بالذهب واللؤلؤ، فَمِنْهُ مَا يبلغ طوله ممتداً نَحْو الذِّرَاع فِي ارْتِفَاع دون الرّبع ذِرَاع" [٢٢٢].ويبدو أن المرأة كانت قد استحدثت – تلك الفترة– ألواناً من ألبسة الرأس الغريبة على المجتمع المصري، وقد يكون بعضها من الألبسة المعروفة عند غير المسلمات، من النساء الوافدات من الخارج.

---

[٢١٦] المقريزي: المصدر السابق، ج ٤، ص٣٦٢

[٢١٧] المقريزي: نفسه، ج ٤، ص٣٦٢. ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ٥٨. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص ٨٩. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٠

[٢١٨] ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص٤١٨

[٢١٩] ابن حجر: نفسه، ج ١، ص٤١٨. الصيرفي: نزهة النفوس، ص٣٣٦

[٢٢٠] المقريزي: السلوك، ج٥، ص٣١٢. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم ٢، ص٤٤٨، ٤٤٩

[٢٢١] المقريزي: نفسه، ج ٥، ص١٧٧. ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم ٢، ص٣٦٢

[٢٢٢] المقريزي: نفسه، ج ٥، ص١٧٧. ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم ٢،ص٣٦٢. الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص١٢٠، ١٢١

وفي عام ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م، وبينما البلقيني في مجلسه مع طلبة العلم، أتته امرأة تسأله عن رؤيا تكررت معها، وتذكر أنها رأت رسول الله – صلى الله عليه وسلم–" وَهُوَ يَقُول لَهَا: قد نهيتك عَن لبس الشاش فَلم تسمعي ولبستيه، مَا تموتي إِلَّا نَصْرَانِيَّة، فَأَتَت بهَا أمهَا إِلَى شيخ الْإِسْلَام سراج الدّين عمر البُلْقِينِيّ، حَتَّى قصت رؤياها عَلَيْهِ، فَأمرهَا أَن تذْهب إِلَى كَنِيسَة النَّصَارَى وَتصلي بهَا رَكْعَات، وتسأل الله تَعَالَى لَعَلَّه يرحمها، ثمَّ تَأتيه حَتَّى يَدْعُو لَهَا. فمضت بهَا أمهَا من مجْلِس البُلْقِينِيّ إِلَى الْكَنِيسَة، فصلت ثمَّ خرت ميتَة لوقتها، فتركها أمهَا وَانْصَرفت عَنْهَا، فدفنها النَّصَارَى عِنْدهم".[٢٢٣]

وقد ذكر المقريزي هذه الحادثة وعلق عليها بأنها " حادثة يتعجب منها"، وبالرغم من غرابتها ولكنها تشير إلى أن البلقيني كان قريباً من العامة، ممن يقصدونه في مجلسه، رجالاً ونساء، كما تشير إلى رفض السلطة في مصر، والعلماء ومنهم الشيخ البلقيني لما أدخلته النساء على ملابسهن، من تقاليع مستحدثة، تظهر منها أكثر مما تخفي.

المكوس والضرائب:

شهدت مصر في عصر المماليك الكثير من أنواع الجبايات والمكوس، مما كانت تشكل عبئاً ثقيلاً على كاهل المصريين، ومن هذه المكوس مكس الملاهي ، فيرجع الفضل للشيخ البلقيني في إبطاله، وذلك في سلطنة الأشرف شعبان(٧٦٤– ٧٧٨هـ/ ١٣٦٣–١٣٧٧م) [٢٢٤]. ومن المكوس الجائرة أيضاً ما يُعرف بـ" مكس القراريط"، وهو مقدار محدد من المال يؤخذ على الدور عند البيع، وقد شاهد البلقيني ما يعانيه الناس من تنفيذ هذه الضريبة ، وفي نفس المجلس الذي اجتمع بالسلطان الأشرف شعبان ٧٧٥هـ/١٣٧٣م، لإبطال ضمان المغاني، واتخذ البلقيني من مرض السلطان، مناسبة لتذكيره بالتقرب إلى الله بإلغاء "مكس القراريط"[٢٢٥]، أوضح للسلطان ما فيه من المظالم، وطلب منه إبطاله، وكتب بذلك مرسومين إلى الوجه القبلى والوجه البحري، بعد ما قُرئا على منابر القاهرة ومصر، فبطل والحمد الله ضمان هاتين الجهتين، وكان يتحصل منهما مال عظيم جدا، وزال بزواله منكر شنيع".[٢٢٦]

ومن هذا يتضح حرص الشيخ البلقيني على مصالح عامة المصريين، ورفع الظلم عنهم، وعدم تحميلهم مزيداً من الضرائب.

---

[٢٢٣] المقريزي: السلوك، ج ٥، ص١٧٧. ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم ٢،ص٣٦٢.

[٢٢٤] الرضى الغزي: بهجة الناظرين، ص٣٣

[٢٢٥] ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص١٢٢، ١٢٣

[٢٢٦] المقريزي: السلوك: ج ٤، ص٣٦٢. ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ٥٨. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص ٨٩

الغلاء في مصر وموقف البلقيني منه:

تعرضت مصر عام ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م لموجة من الجفاف، وانخفض مستوى النيل بدرجة كبيرة، فارتفعت أسعار الغلال حتى عدم الناس الخبز مدة سبعة أيام، واستسقى الناس بالجامع الأزهر، تقدمهم الشيخ سراج الدين البلقيني[٢٢٧] بسبب منام رآه بعض من يعتقد فيه الصلاح[٢٢٨]، "فعجب أكثر الناس لموافقة الشيخ على ذلك، لكنه بالغ في الدعاء والابتهال والتضرع، وضج معه الناس في ذلك، وكانت ساعة عظيمة"[٢٢٩]، واتفق وصول غلال كثيرة في صبيحة ذلك اليوم، فانحط السعر قليلاً، ثم ازداد الغلاء إلى أن "سَمّر الوالي جماعة من الطحانين، وضرب المحتسب أربعة منهم بالسياط وشهرهم، ولم يزدد الأمر إلا شدة ".[٢٣٠]

وباء الطاعون (٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م):

انتشر الوباء العظيم الذي شمل أنحاء عديدة من العالم، وذلك سنة (٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م) واستمر إلى بداية سنة (٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م)، فتنقل الوباء ما بين بلاد القرم والصين والهند، وبلاد الفرنج والأندلس وبغداد، وقبرص، وغزة، ثم تواصلت الأخبار بوقوعه في أطراف مصر عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، وأخذ في الانتشار في الوجه البحري والقبلي.[٢٣١]

حرص علماء مصر وفقهاؤها على تحمل المسئولية، وتوجيه عامة الناس إلى ضرورة الدعاء إلى الله والتضرع إليه لرفع هذا الوباء، وقد اتجه العامة للعلماء في المساجد الكبرى، ومنها الجامع الأزهر، وغيره من المساجد لقراءة القرآن، وقراءة كتب السنن كالبخاري وغيره، كما حرص الشيوخ والعلماء على القنوت والدعاء في جميع الصلوات لرفع الوباء.[٢٣٢]

وكان شيخ الإسلام البّلقيني في مقدمة هؤلاء العلماء، " خرج وهو ماشٍ على أقدامه، من بيته الذي في حارة بهاء الدين ، والناس حوله يذكرون ، حتى أتى إلى الجامع الأزهر ، وكان ذلك يوم الجمعة ، فخطب بالناس خطبة بليغة ، وأمرهم بالتوبة من ذنوبهم ، وابتهل الناس إلى الله تعالى

---

[٢٢٧] ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم ٤٨٢

[٢٢٨] ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص٥٠٧

[٢٢٩] المقريزي: المصدر السابق، ج ٥، ص٣٨٥. ابن حجر: نفسه، ج١، ص٥٠٧.

[٢٣٠] المقريزي: نفسه، ج ٥، ص٣٨٥. ابن حجر: نفسه، ج١، ص٥٠٧.

[٢٣١] المقريزي: نفسه، ج٤، ص٨٠. ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدّمرى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج١، ص١٧٧.ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم ١، ص٥٢٨.

[٢٣٢] المقريزي: المصدر السابق، ج٤، ص٨٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٠٤- ٢٠٥. السخاوي: الذيل على رفع الإصر، ج١، ص٣٥.ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم ١، ص٥٣١.

بالدعاء ؛ فلما رجعوا من الجامع، وأصبحوا ،تزايد أمر الطاعون وفشى في القاهرة ، حتى جاوز الحد في ذلك".[٢٣٣]

البلقيني ومسالة استبدال الوقف:

في سلطنة المنصور على بن الأشرف شعبان (٧٧٨- ٧٨٣هـ/ ١٣٧٧-١٣٨١م)، وفي عام ٧٨١هـ /١٣٧٩م، تناول العلماء والسلاطين مسألة بيع الأوقاف واستبدالها وإعادة النظر في ملكيتها، وقد حضر البلقيني وعدد من العلماء مجلس الأمير برقوق قبل توليه السلطنة، لمناقشة هذه المسألة، ويقول المقريزي:" استدعى الْأَمِير الْكَبِير برقوق الْقُضَاة وشيوخ الْعلم وتحدث مَعَهم فِي حل الْأَرَاضِي الْأَوْقَاف على الْجَوَامِع والمساجد والمدارس والخوانق[٢٣٤] والزوايا والربط[٢٣٥]، وعَلى أَوْلَاد الْمُلُوك والأمراء وَغَيرهم وعَلى الرزق الأحباسية وَكَيف يجوز بيع أَرَاضِي مصر وَالشَّام الخراجية على بَيت المَال وأحضرت أوراق بِمَا أوقف من بِلَاد مصر وَالشَّام وَبِمَا تملك مِنْهَا، ولما قرئت الأوراق على الحاضرين، قَالَ الْأَمِير برقوق: هَذَا هُوَ الَّذِي أَضْعَف جَيش الْمُسلمين".[٢٣٦]

وكان غرض الأمير برقوق الاستفادة من مال الأوقاف في تجهيز الجيش، والاستعداد لمواجهة متوقعة مع المغول، وقد عرض عدد من العلماء رأيه في القضية والشيخ البلقيني صامت، "فَقَالَ بَعضهم لشيخ الْإِسْلَام سراج الدّين عمر البُلْقِينِيّ: لم لَا تَتَكَلَّم؟ فَقَالَ: مَا استفتاني أحد حَتَّى أفتيه. فَأَشَارَ لَهُ الْأَمِير برقوق أَن يتَكَلَّم، فقال: أَن أوقاف الْجَوَامِع والمساجد والمدارس والخوانق، الَّتِي هِيَ على عُلَمَاء الشَّرِيعَة وفقهاء الْإِسْلَام، وعَلى المؤذنين وأئمة الصَّلَوَات، ووقيد القناديل، وَنَحْو ذَلِك، لَا يحل لأحد أَن يتَعَرَّض بحلها بِوَجْه من الْوُجُوه، فَإِن للْمُسلمين حقاً لم يدْفع إِلَيْهِم، وَإِلَّا فانصبوا لنا ديواناً نحاسبه على حَقنا، حَتَّى يظْهر لكم أَن مَا نستحقه أَكثر مِمَّا هُوَ مَوْقُوف علينا"[٢٣٧].

وهكذا وقف البلقيني وابنه البدر، وعدد من العلماء والفقهاء بكل جرأة وحسم أمام الأمير برقوق، عندما شكا لهم بأن الخزائن خاوية من الأموال، والمغول يقتربون من البلاد، وأنه يريد أخذ نفقة

---

[٢٣٣] ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم ١، ٥٣١

[٢٣٤] الخوانق: جمع خانقاة، وهو لفظ فارسي ومعناه البيت، وأطلق على الأماكن المجهزة لاقامة العباد والزهاد من أتباع الطرق الصوفية، وأوقف عليها الكثير من الأوقاف للصرف عليها. مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص١٥٨

[٢٣٥] الرباط بكسر الراء، وهو ملازمة ثغر العدو، والربطة هي مساكن تقام على الحدود لأغراض دينية وحربية، وفي أوقات السلم تقام فيها الدروس ونشر العلم، من المجاهدين وغالبهم من الصوفية. مصطفى الخطيب: المرجع السابق، ص٢٠٥

[٢٣٦] المقريزي: السلوك، ج ٥، ص٥٧. ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص١٧٨

[٢٣٧] المقريزي: المصدر السابق، ج ٥، ص٥٧. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٣٦.ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص٢٣٦

العسكر من مال الأوقاف المرصودة للجوامع والمدارس، فاعترض البلقيني على طلبه، وعندما حاول بعض الفقهاء تهدئة الأمير برقوق والتلطف معه بالقول، فَقَالَ ابْن أبي الْبَقَاء: "يَا أُمَرَاء أَنْتُم أَصْحَاب الشَّوْكَة وَالْأَمر لكم". فأطال البلقيني له القول، وأيده في موقفه ابنه: " فَقَالَ لَهُ الْبَدْر مُحَمَّد بن البُلْقِينِيّ – قَاضِي الْعَسْكَر – كَيفَ تَقول هَذَا؟ من أَيْن للسُّلْطَان ذَلِك وَإِنَّمَا هُوَ كآحاد النَّاس. فَقَالَ البُلْقِينِيّ: يَا أُمَرَاء أَنْتُم تأمرون الْقُضَاة، فَإِن لم يَفْعَلُوا مَا ترسمون بِهِ عزلتموهم". [٢٣٨]

على الرغم من رفض الفقهاء لمطلب الأتابك برقوق بالاستفادة من أموال الأوقاف، فإنه لم يلتفت لآراء الفقهاء، وعلى رأسهم الشيخ البلقيني، " وأخرج عدة أوقاف، وجعلها إقطاعات، وفرقها على المماليك".[٢٣٩]

وفي سنة٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م، وبعد تولي الظاهر برقوق السلطنة، جدد طلبه للعلماء بالحصول على أموال الأوقاف، وذلك بعد وصول أنباء باستيلاء تيمورلنك على مدينة تبريز و آمد، "فاستدعى السلطان القضاة والفقهاء والأمراء، وتحدث معهم في أخذ الأوقاف من البلاد، بسبب ضعف عسكر مصر، فكثر الكلام في ذلك وآل الأمر إلى أنه يأخذ متحصل الأوقاف لسنة"[٢٤٠].

وفي عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م، وفي سلطنة فرج بن برقوق، طلب السلطان حضور الخليفة والشيخ البلقيني والقضاة الأربعة، وأبلغهم أنه يحتاج نفقة لخروج العسكر إلى التجريدة ، بسبب قتال بعض المتمردين في الشام، وأن خزائن بيت المال خالية من الأموال ، وبدأ في مصادرة التجار ، وأعيان الناس ، و طلب أن يأخذ من متحصل الأوقاف مدة سنة كاملة ، حتى يتجهز بها العسكر، فلم يوافق شيخ الإسلام على ذلك ؛ وكثر الجدال في المجلس ، بين شيخ الإسلام ، وبين أيتمش الأتابكي، فوقع الاتفاق في ذلك المجلس على أن يؤخذ من أجرة الأملاك والأوقاف شهرٌ واحدٌ ، وتبقى على حالها.[٢٤١]

ومما سبق يتضح صلابة موقف البلقيني وابنه محمد قاضي العسكر، وعدم خضوعه لطلب السلاطين بالتصرف في أموال الأوقاف، وشدد البُلقيني على ضرورة الحفاظ على أموال الأوقاف، والصرف منها على مستحقيها الموقوف عليهم من مساجد، ومدراس، والعلماء وطلاب العلم، وغير ذلك من وجوه الخير، إلا أن السلاطين غالباً ما يعمدون إلى تنفيذ رغبتهم، والحصول على أموال الأوقاف ولو لفترات محددة.

---

[٢٣٨] المقريزي: المصدر السابق، ج٥، ص٥٧. ابن حجر: المصدر السابق، ج١، ص١٧٨. ابن إياس: المصدر السابق، ج١، قسم٢، ص٢٣٦.

[٢٣٩] ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، قسم٢، ص٢٣٦

[٢٤٠] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٠٣. ابن إياس: بدائع الزهور ، ج١، قسم٢، ص٣٨٦، ٣٨٧

[٢٤١] ابن إياس: المصدر السابق ، ج١، قسم٢، ص٥٤٨

الخاتمة:

وقد اتضح من خلال هذه الدراسة عدة نقاط منها:

-أكدت الدراسة على قيمة شيخ الإسلام البُلقيني ومكانته العلمية، فقد أشاد المؤرخون وكتاب التراجم، بغزارة علمه، واتساع معارفه.

- أوضحت الدراسة الدور العلمي للسراج البُلقيني، وتعدد المدارس التي درَس بها وتخرج فيها المئات من العلماء والفقهاء من داخل مصر وخارجها.

-تعرض مصر للعديد من الاضطرابات الداخلية والثورات، وكان للبُلقيني دور في أعمال التهدئة واستقرار الأوضاع.

- شهدت مصر مرحلة من عدم الاستقرار السياسي في الفترة ما بين انتهاء دولة المماليك البحرية وقيام دولة المماليك البرجية.

- مشاركة البُلقيني عامة المصريين في مواجهة الغلاء وانتشار مرض الطاعون.

- حظى البُلقيني بمكانة كبيرة واهتمام سلاطين المماليك وحضور مجالسهم وكان بمثابة المستشار السياسي لهم.

- واجه البُلقيني عدداً من المشاكل الاجتماعية في مصر مثل الزندقة والبرطلة والمغاني.

- أكد البُلقيني على ضرورة الحفاظ على أموال الأوقاف وعدم تعدي سلاطين المماليك عليها.

- حرص الشيخ البُلقيني على رفع الظلم عن المصريين، وساهم في منع عدد من الضرائب.

- قام البُلقيني بدوره في التوعية بضرورة الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن دين الله، وصد خطر المغول.

المصادر والمراجع:

الأقفهسي (خليل بن محمد بن محمد بن عبد الرحيم ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)
١- إرشاد الطالبين إلى شيوخ قاضي القضاة ابن ظهيرة جمال الدين، تحقيق محمد الزاهي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)
٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
البغدادي(عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي صفي الدين ت ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨م)
٣- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، مطبعة الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٧٣/ ١٩٥٤
البلقيني(علم الدين صالح بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر ت ٨٦٨ هـ/ ١٤٦٣م)
٤ -التجريد والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام، تحقيق عمر حسن القيام، أروقة للنشر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥
ابن تغري بردي(جمال الدين أبى المحاسن بن تغرى بردى الأتابكي ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)
٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.
حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي ت ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٧م)
٦-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج٢، ١٤٧٥
- ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)
٧- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٨م
ابن حجر(أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)
٨- إنباء الغمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٩- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، ١٤١٤/ ١٩٩٣
١٠- ذيل الدرر الكامنة، تحقيق عدنان درويش، معهد المخطوطات العربية، ١٤١٢ / ، ١٩٩٢
١١- رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي ١٤١٨/١٩٨٨
ابن حجي (أحمد بن حجي السعدي الدمشقي ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م)
١٢- تاريخ ابن حجي، تحقيق عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م
الداوودي (محمد بن علي بن أحمد الداوودي ت ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م)
١٣- طبقات المفسّرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

الرضى الغزي (أبو البركات محمد بن أحمد بن عبد الله الشافعي ت ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م)
١٤- بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين، تحقيق عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ١٤٢١، ٢٠٠٠م
السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)
١٥- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، فيصل عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣/ ١٩٦٤
السخاوي (محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوى ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)
١٦- البلدانيات، تحقيق حسام محمد القطان، دار العطاء للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م
١٧ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م
١٨- وجيز الكلام، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م
السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري ت ٨٤٩هـ/٩١١م)
١٩- ذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣، ١٩٨٣
ابن شاهين الظاهري(عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤)
٢٠- نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق محمد جلال الدين علي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م
٢١- نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدّمرى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى ،١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م
الشوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٤٣م)
٢٢ -البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)
٢٣- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م
-الصيرفي (على بن داوود بن إبراهيم ت ٩٠٠ هـ/١٤٩٤م)
٢٤- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، مركز تحقيق التراث، وزارة الثقافة، جمهورية مصر العربية، ١٩٧٠
العماد الحنبلي (أبو الفلاح ت عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي أبو الفلاح ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)
٢٥- شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦، ١٩٨٦
ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م)
٢٦- تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، مطبعة الأمير كانيه، بيروت، لبنان، ١٩٣٦م

ابن قاضي شهبة (أحمد بن محمد بن عمر ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م)
٢٧- طبقات الشافعية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م
القلقشندي (أبو العباس أحمد القلقشندي ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م)
٢٨- صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، ١٣٤٠ – ١٩٢٢
ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)
٢٩ –البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٠ – ١٩٩٠
المقريزي(تقى الدين أحمد بن على المقريزي ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)
٣٠- الخطط، القاهرة، مطبعة النيل، ١٣٢٦هـ
٣١- درر العقود، تحقيق محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م
٣٢–السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.
ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
٣٣–معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان ،١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م

ثانياً المراجع:

حسن الباشا
١–الفنون الإسلامية، الدار الفنية للنشر، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م
سامية على مصيلحي
٢- البغاء في مصر في العصر المملوكي (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)، حوليات آدابعين شمس، مجلد ٣٣، مارس٢٠٠٥م، ص١٠٧- ١٦٣
٣- الزندقة في مصر والشام في العصر المملوكي(٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)،مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، عدد١٥، ج١، يناير، ٢٠٠٦م، ص٩٣- ١٨٤
صائب عبد الحميد
٤- ابن تيمية حياته، عقائده، بيروت ، ١٩٩٥
عمر رضا كحالة
٥- معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م
محمد كرد علي
٦- خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ / ١٩٨٣
مصطفى عبد الكريم الخطيب
٧- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م